فهرست مکاشفة القلوب

صحیفة

٤ الباب الاول فی بیان الخوف من الله تعالی
٥ الباب الثانی فی الخوف من الله تعالی أیضا
٧ الباب الثالث فی الصبر والمرض
٩ الباب الرابع فی الریاضة والشهوة النفسانیة
١٠ الباب الخامس فی غلبة النفس وعداوة الشیطان
١١ الباب السادس فی الغفلة
١٣ الباب السابع فی نسیان الله تعالی والفسق والنفاق
١٤ الباب الثامن فی التوبة
١٦ الباب التاسع فی المحبة
١٧ الباب العاشر فی العشق
١٩ الباب الحادی عشر فی طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلی الله علیه وسلم
٢٢ الباب الثانی عشر فی ذکر ابلیس وعذابه
٢٤ الباب الثالث عشر فی الامانة
٢٥ الباب الرابع عشر فی اتمام الصلاة بالخضوع والخشوع
٢٧ الباب الخامس عشر فی الامر بالمعروف والنهی عن المنکر
٢٩ الباب السادس عشر فی عداوة الشیطان
٣٤ الباب السابع عشر فی بیان الامانة والتربة
٣٧ الباب الثامن عشر فی فضل الترحم
٣٩ الباب التاسع عشر فی بیان الخشوع فی الصلاة
٤١ الباب العشرون فی بیان الغیبة والنمیمة
٤٣ الباب الحادی والعشرون فی بیان الزکاة
٤٤ الباب الثانی والعشرون فی بیان الزنا
٤٥ الباب الثالث والعشرون فی صلة الرحم وحقوق الوالدین
٤٨ الباب الرابع والعشرون فی بر الوالدین
٥٠ الباب الخامس والعشرون فی الزکاة والبخل
٥١ الباب السادس والعشرون فی طول الامل
٥٢ الباب السابع والعشرون فی ملازمة الطاعة وترک الحرام
٥٥ الباب الثامن والعشرون فی بیان ذکر الموت
٥٨ الباب التاسع والعشرون فی ذکر السموات والاجناس المختلفة
٥٩ الباب الثلاثون فی بیان الکرسی والعرش وبیان الملائکة المقربین والارزاق والتوکل

صحيفة

٦٠ الباب الحادي والثلاثون في ترك الدنيا وذمها
٦٨ الباب الثاني والثلاثون في ذم الدنيا أيضا
٧١ الباب الثالث والثلاثون في فضل القناعة
٧٤ الباب الرابع والثلاثون في فضل الفقراء
٧٨ الباب الخامس والثلاثون في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى وفي بيان العرصات
٧٩ الباب السادس والثلاثون في النفخ والفزع والحشر من المنابر
٨١ الباب السابع والثلاثون في بيان القضاء بين الخلائق
٨٣ الباب الثامن والثلاثون في بيان ذم المال
٨٥ الباب التاسع والثلاثون في الاعمال والميزان وعذاب النار
٩٠ الباب الاربعون في فضل الطاعة
٩٣ الباب الحادي والاربعون في الشكر
٩٥ الباب الثاني والاربعون في بيان ذم الكبر
٩٧ الباب الثالث والاربعون في التفكر في الايام وغيرها
٩٩ الباب الرابع والاربعون في بيان شدة الموت
١٠١ الباب الخامس والاربعون في بيان القبر وسؤاله
١٠٣ الباب السادس والاربعون في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض
١٠٤ الباب السابع والاربعون في فضل ذكر الله تعالى
١٠٦ الباب الثامن والاربعون في فضائل الصلوات
١٠٧ الباب التاسع والاربعون في بيان عقوبة تارك الصلاة
١١٣ الباب الخمسون في بيان عرصات جهنم وعذابها
١١٤ الباب الحادي والخمسون في بيان عذاب جهنم أيضا
١١٦ الباب الثاني والخمسون في بيان فضل الخوف من الذنب
١١٨ الباب الثالث والخمسون في بيان فضل التوبة
١٢١ الباب الرابع والخمسون في بيان النهي عن الظلم
١٢٢ الباب الخامس والخمسون في النهي عن ظلم اليتيم
١٢٣ الباب السادس والخمسون في بيان ذم الكبر
١٢٥ الباب السابع والخمسون في فضل التواضع والقناعة
١٢٦ الباب الثامن والخمسون في بيان غرور الدنيا
١٢٧ الباب التاسع والخمسون في بيان ذم الدنيا والتحذير منها
١٣٠ الباب الستون في فضل الصدقة
١٣١ الباب الحادي والستون في قضاء حاجة أخيك المسلم
١٣٢ الباب الثاني والستون في فضل الوضوء

صحيفة

١٣٣ الباب الثالث والستون فى فضل الصلوات
١٣٥ الباب الرابع والستون فى بيان أهوال القيامة
١٣٦ الباب الخامس والستون فى صفة جهنم والميزان
١٣٧ الباب السادس والستون فى بيان ذم الكبر والعجب
١٣٨ الباب السابع والستون فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم
١٣٩ الباب الثامن والستون فى أكل الحرام
١٤٠ الباب التاسع والستون فى النهى عن الربا
١٤٢ الباب السبعون فى حقوق العبد
١٤٣ الباب الحادى والسبعون فى ذم اتباع الهوى وفى بيان الزهد
١٤٦ الباب الثانى والسبعون فى صفة الجنة ومراتب أهلها
١٤٨ الباب الثالث والسبعون فى الصبر والرضا والقناعة
١٤٩ الباب الرابع والسبعون فى فضل التوكل
١٥٠ الباب الخامس والسبعون فى فضل المسجد
١٥١ الباب السادس والسبعون فى الرياضة وفضل أهل الكرامة
١٥٣ الباب السابع والسبعون فى الايمان والنفاق
١٥٥ الباب الثامن والسبعون فى النهى عن الغيبة والنميمة
١٥٧ الباب التاسع والسبعون فى بيان عداوة الشيطان
١٥٨ الباب الثمانون فى بيان المحبة ومحاسبة النفس
١٥٩ الباب الحادى والثمانون فى بيان تلبيس الحق بالباطل
١٦٠ الباب الثانى والثمانون فى فضل صلاة الجماعة
١٦١ الباب الثالث والثمانون فى فضل صلاة الليل
١٦٣ الباب الرابع والثمانون فى عقوبة علماء الدنيا
١٦٤ الباب الخامس والثمانون فى فضل حسن الخلق
١٦٥ الباب السادس والثمانون فى الضحك والبكاء واللباس
١٦٦ الباب السابع والثمانون فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء
١٦٦ الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة
١٦٧ الباب التاسع والثمانون فى بر الوالدين وحقوق الاولاد
١٦٩ الباب التسعون فى حقوق الجوار والاحسان للمساكين
١٧٠ الباب الحادى والتسعون فى عقوبة شارب الخمر
١٧١ الباب الثانى والتسعون فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم
١٧٢ الباب الثالث والتسعون فى فضائل الجمعة
١٧٣ الباب الرابع والتسعون فى حق الزوجة على الزوج

صحيفه		
١٧٥	الباب الخامس والتسعون فى حق الزوج على الزوجة	
١٧٦	الباب السادس والتسعون فى فضل الجهاد	
١٧٧	الباب السابع والتسعون فى مكر الشيطان	
١٧٨	الباب الثامن والتسعون فى بيان السماع	
١٧٩	الباب التاسع والتسعون فى النهى عن البدعة واتباع الهوى	(صوابه فى الصلب التاسع)
١٨١	الباب المتم للمائة فى فضائل رجب	
١٨١	الباب الحادى بعد المائة فى فضل شعبان المكرم	
١٨٣	الباب الثانى بعد المائة فى فضل رمضان المعظم	
١٨٤	الباب الثالث بعد المائة فى فضل ليلة القدر	
١٨٥	الباب الرابع بعد المائة فى فضل العيد	
١٨٥	الباب الخامس بعد المائة فى فضل عشر ذى الحجة	
١٨٦	الباب السادس بعد المائة فى فضل عاشوراء	
١٨٧	الباب السابع بعد المائة فى فضل ضيافة الفقراء	
١٨٨	الباب الثامن بعد المائة فى الكلام على الجنازة والقبر	
١٩٠	الباب التاسع بعد المائة فى التخويف من عذاب جهنم	
١٩١	الباب العاشر بعد المائة فى الميزان والصراط	
١٩١	الباب الحادى عشر بعد المائة فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم	

تمت

﴿مكاشفة القلوب﴾

المقرب الى حضرة علام الغيوب

المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب

للامام العلامة العارف الشيخ

الغزالي رحمه الله تعالى

ونفعنا ببركاته

آمين

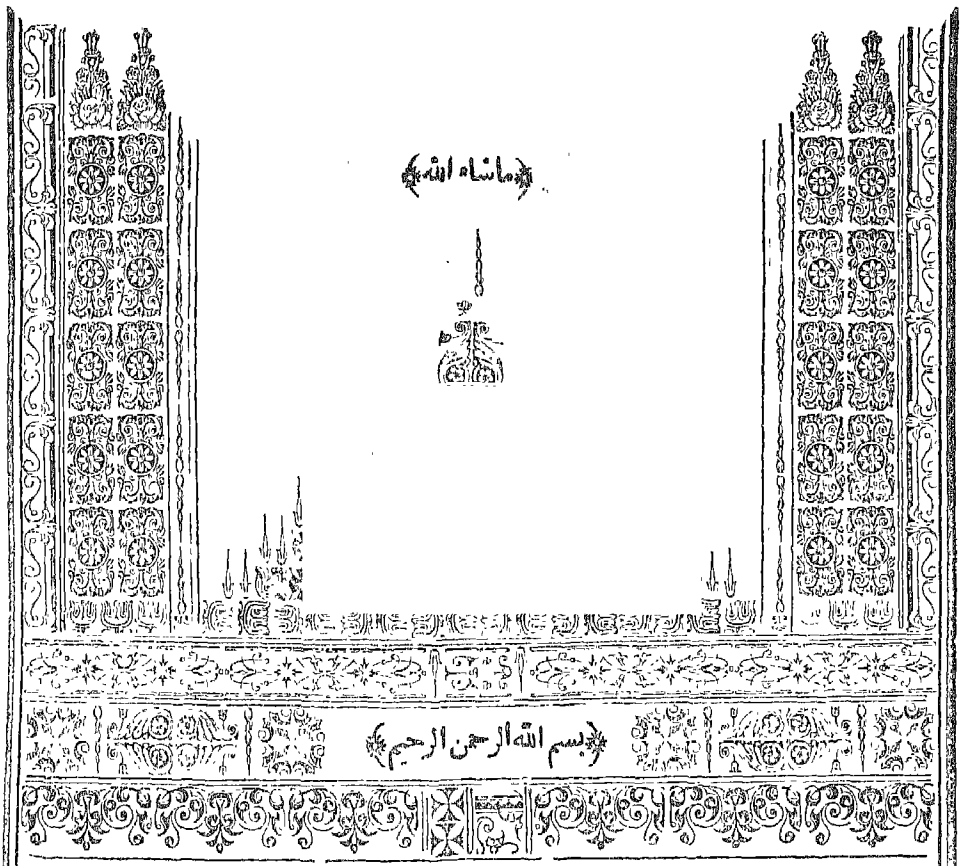

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات وخلق الارضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وأثاب على الاعمال الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرات الذى حصل من نوره وجود الكائنات (وبعد) فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب المنسوب الى الشيخ الغزالى وقد سميته كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة واحد عشر باب ليحفظ ما فيها أولو العلم والالباب

(الباب الاول) فى الخوف (الباب الثانى) فى الخوف من الله تعالى أيضا (الباب الثالث) فى الصبر والمرض (الباب الرابع) فى الرياضة والشهوة النفسانية (الباب الخامس) فى غلبة النفس وعداوة الشيطان (الباب السادس) فى الغفلة (الباب السابع) فى نسيان الله والفسق والنفاق (الباب الثامن) فى التوبة (الباب التاسع) فى المحبة (الباب العاشر) فى ذكر العشق (الباب الحادى عشر) فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (الباب الثانى عشر) فى ذكر ابليس وعذابه (الباب الثالث عشر) فى ذكر الامانة (الباب الرابع عشر) فى الصلاة بالخضوع والخشوع (الباب الخامس عشر) فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الباب السادس عشر) فى عداوة الشيطان (الباب السابع عشر) فى الامانة والتوبة (الباب الثامن عشر) فى فضل الترحم (الباب التاسع عشر) فى الخشوع فى الصلاة (الباب العشرون) فى الغيبة والنميمة

(الباب

(الباب الحادى والعشرون) فى الزكاة (الباب الثانى والعشرون) فى ترك الزنا (الباب الثالث والعشرون) فى صلة الرحم وحقوق الوالدين (الباب الرابع والعشرون) فى بر الوالدين (الباب الخامس والعشرون) فى منع الزكاة والبخل (الباب السادس والعشرون) فى طول الامل (الباب السابع والعشرون) فى ملازمة الطاعة وترك الحرام (الباب الثامن والعشرون) فى ذكر الموت (الباب التاسع والعشرون) فى ذكر السموات والاجناس المختلفة (الباب الثلاثون) فى الكرسى والملائكة المقربين والارزاق والتوكل (الباب الحادى والثلاثون فى ترك الدنيا وذمها (الباب الثانى والثلاثون) فى ذم الدنيا أيضا (الباب الثالث والثلاثون) فى بيان فضل القناعة (الباب الرابع والثلاثون) فى فضل الفقراء (الباب الخامس والثلاثون) فى ذم اتخاذ ولى من دون الله وبيان العرصات (الباب السادس والثلاثون) فى النفخ والفزع والحشر من القبر (الباب السابع والثلاثون) فى العرصات والقضاء بين الخلائق (الباب الثامن والثلاثون) فى بيان ذم المال (الباب التاسع والثلاثون فى الاعمال والميزان وعذاب النار (الباب الاربعون) فى فضل الطاعة (الباب الحادى والاربعون) فى الشكر (الباب الثانى والاربعون) فى بيان ذم الكبر (الباب الثالث والاربعون) فى التفكر فى أحوال الايام (الباب الرابع والاربعون) فى بيان شدة الموت (الباب الخامس والاربعون) فى بيان القبر وسؤاله (الباب السادس والاربعون) فى بيان علم اليقين وعين اليقين وسؤال يوم العرض (الباب السابع والاربعون) فى فضل ذكر الله (الباب الثامن والاربعون) فى فضائل الصلاة (الباب التاسع والاربعون) فى بيان عقوبات تارك الصلاة (الباب الخمسون) فى العرصات وعذاب جهنم (الباب الحادى والخمسون) فى بيان عذاب جهنم أيضا (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر الخوف والذنب (الباب الثالث والخمسون) فى فضل التوبة (الباب الرابع والخمسون) فى بيان عواقب الظلم (الباب الخامس والخمسون) فى ظلم اليتيم وقتل أولاد جعفر (الباب السادس والخمسون) فى بيان ذكر عاقبة الكبر (الباب السابع والخمسون فى فضل التواضع والقناعة (الباب الثامن والخمسون) فى بيان غرور الدنيا (الباب التاسع والخمسون) فى بيان عدم الاغترار بالدنيا والتحريض على التقوى (الباب الستون) فى بيان فضل الصدقة (الباب الحادى والستون) فى قضاء حاجة الاخ المسلم (الباب الثانى والستون) فى بيان فضل الوضوء (الباب الثالث والستون) فى فضل الصلاة والمحافظة عليها (الباب الرابع والستون) فى بيان ذكر القيامة (الباب الخامس والستون) فى بيان صفة جهنم وطبقاتها وذكر الصراط والميزان (الباب السادس والستون) فى ذم الكبر والعجب (الباب السابع والستون) فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم (الباب الثامن والستون) فى طلب أكل الحلال والتحذير من أكل الحرام (الباب التاسع والستون) فى ذكر الربا (الباب السبعون) فى الحث على الاستحلال من حقوق العبد (الباب الحادى والسبعون) فى النهى عن اتباع الهوى وفضل الزهد (الباب الثانى والسبعون) فى صفة الجنة وصفة أهلها (الباب الثالث والسبعون) فى الصبر والرضا والقناعة (الباب الرابع والسبعون) فى فضل التوكل وذكر الرزق (الباب الخامس والسبعون) فى فضل المسجد والنهى عن التكلم بكلام الدنيا فيه (الباب السادس والسبعون) فى الرياضة وفضل أهل الكرامة (الباب السابع والسبعون) فى فضل الايمان وذم النفاق (الباب الثامن والسبعون) فى النهى عن الغيبة والنميمة وفضل الذكر (الباب التاسع

والسبعون فى بيان بعض فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وبيان عداوة الشيطان (الباب الثمانون) فى بيان فضل المحبة والمحاسبة فى العرصات (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر تلبيس الحق بالباطل وفضل الصلاة (الباب الثانى والثمانون) فى فضل الصلاة مع الجماعة (الباب الثالث والثمانون) فى فضل صلاة الليل (الباب الرابع والثمانون) فى فضل بسم الله الرحمن الرحيم وفى عقوبة العلماء (الباب الخامس والثمانون) فى فضل حسن الخلق (الباب السادس والثمانون) فى الضحك والبكاء واللباس (الباب السابع والثمانون) فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء (الباب الثامن والثمانون) فى فضل الصلاة (الباب التاسع والثمانون) فى بر الوالدين وعقوق الوالدين (الباب التسعون) فى حق الجوار والاحسان للمساكين (الباب الحادى والتسعون) فى عقوبة شارب الخمر (الباب الثانى والتسعون) فى بيان معراج النبى صلى الله عليه وسلم (الباب الثالث والتسعون) فى فضائل يوم الجمعة (الباب الرابع والتسعون) فى حق الزوجة على الزوج (الباب الخامس والتسعون) فى حق الزوج على الزوجة (الباب السادس والتسعون فى فضل الجهاد (الباب السابع والتسعون) فى مكر الشيطان (الباب الثامن والتسعون) فى النهى عن السماع والشبهة (الباب التاسع والتسعون) فى البدعة والهوى (الباب المتمم للمائة) فى فضائل البسملة وشهر رجب (الباب الحادى بعد المائة) فى فضائل شعبان المبارك (الباب الثانى بعد المائة) فى بيان فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفضائل شهر رمضان (الباب الثالث بعد المائة فى فضل ليلة القدر (الباب الرابع بعد المائة) فى فضل العيد (الباب الخامس بعد المائة) فى فضائل أيام العشر (الباب السادس بعد المائة) فى فضائل عاشوراء (الباب السابع بعد المائة) فى فضل الضيافة والفقراء (الباب الثامن بعد المائة فى بيان الجنازة والقبر وغيره من حقوق المسلمين وتشييع جنائزهم (الباب التاسع بعد المائة) فى بيان ذكر الخوف وعذاب جهنم (الباب العاشر بعد المائة) فى ذكر الميزان وكيفيته (الباب الحادى عشر بعد المائة) فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم

﴿الباب الاول فى بيان الخوف﴾

جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح فى المشرق وجناح فى المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الارض السابعة وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش فاذا صلى رجل أو امرأة من أمتى على أمره الله تعالى بان ينغمس فى بحر من نور تحت العرش فينغمس فيه ثم يخرج وينفض جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة *قال بعض الحكماء سلامة الجسد فى قلة الطعام وسلامة الروح فى قلة الآثام وسلامة الدين فى الصلاة على خير الانام *قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله يعنى اخشوا الله وأطيعوه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر فان الملائكة والسماء والارض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى ان جوارحه تشهد عليه والارض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول صلى على وصام وحج وجاهد ففرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصى فتقول أشرك على وزنى وشرب الخمر وأكل الحرام فيا ويلاه ان ناقشه فى الحساب أرحم الراحمين * المؤمن هو الذى

يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث علامة خوف الله تعالى تظهر في سبعة أشياء أولها لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم والثاني قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الاخوان لان الحسد يحو الحسنات كما قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم ان الحسد من الامراض العظيمة في القلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والثالث نظره فلا ينظر الى الحرام من الاكل والشرب والكسوة وغيرها ولا الى الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر الى ما لا يحل له كما قال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار والرابع بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه اثم كبير كما قال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم لعنه كل ملك في الارض والسماء ما دامت تلك اللقمة في بطنه وان مات على تلك الحالة فمأواه جهنم والخامس يده فلا يمد يده الى الحرام بل يمدها الى ما فيه طاعة الله تعالى وروي عن كعب الاحبار انه قال ان الله تعالى خلق دارا من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت لا ينزلها الا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى والسادس قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه والى مجالسة العلماء والصلحاء والسابع طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق فاذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم والآخرة عند ربك للمتقين وقال في آية أخرى ان المتقين في جنات وعيون وقال الله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم وقال الله تعالى ان المتقين في مقام أمين كانه تعالى يقول انهم يجيئون يوم القيامة من النار وينبغي للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ويجتهد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الى الله تعالى ﴿حكاية﴾ بينما داود عليه السلام جالس في صومعته يتلو الزبور اذ رأى دودة حمراء في التراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت يا نبي الله أما نهاري فألهمني ربي ان أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وأما ليلي فألهمني ربي ان أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة فأنت ما تقول حتى أستغفر منك فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب اليه وتوكل عليه (وكان) ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فأرسل الله اليه جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوبته نسيت خلقي فهذه أحوال الانبياء والاولياء والصالحين والزاهدين فتأمل

﴿الباب الثاني في الخوف من الله تعالى أيضا﴾

قال أبو الليث رحمه الله تعالى ان لله ملائكة في السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى الى يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالى واذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤسهم فقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يعني لا يعصون الله تعالى طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها ﴿حكي﴾ ان رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة الى حاجة لها فذهب

الرجل معها فلما خلا بها فى البادية ونام الناس أفشى الرجل سره اليها فقالت له المرأة انظر أنام الناس بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن انها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع اليها وقال لها نم نيام هم نيام فقالت ما تقول فى الله تعالى أنا نائم فى هذه الساعة فقال الرجل ان الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة ان الذى لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يرونا فذلك أولى ان يخاف منه فتركها الرجل خوفا من الخالق وتاب ورجع الى وطنه فلما توفى رأوه فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بخوفى وتركى ذلك الذنب ﴿(حكاية)﴾ كان فى بنى اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيأ لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنينى من نفسك فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الى عيالها يصيحون ويقولون يا أمى نحن غوث من الجوع أعطينا ما نأكله فذهبت الى الرجل وكلمته فى أمر عيالها فقال لها أتكون حاجتى مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها ما لك فقالت انى أخاف الله فقال الرجل انك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فانا أحق بالخوف منك وامتنع عنها وقضى حاجتها واتصرفت بنعمة كثيرة الى أولادها ففرحوا فأوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لفلان بن فلان انى قد غفرت ذنوبك بجاه موسى عليه السلام فقال لعلك قد فعلت خيرا بينك وبين الله فذكر القصة عليه فقال ان الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك كذا فى مجمع اللطائف وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين من خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وقال الله تعالى فلا تخشوا الناس واخشونى وقال فى آية أخرى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وكان عمر رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبنة فقال يا ليتنى كنت تبنة ولم أك شيأ مذكورا يا ليتنى لم تلدنى أمى ويبكى كثيرا حتى تجرى دموعه من عينه فكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع (وفى رقائق الاخبار) يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيآته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول يا رب رسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وانى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكى من خشية الله فى الدنيا وينادى جبريل عليه السلام نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة وفى بداية الهداية اذا كان يوم القيامة جئ بجهنم ترفر زفرة فتخشع كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية أى على الركب كل أمة تدعى الى كتابها فاذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام وكل واحد حتى الانبياء يقول نفسى نفسى الا صفى الانبياء صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتى أمتى وتخرج من لهبها نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى دفعها وتقول يا نار بحق المصلين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعى فلا ترجع وينادى جبريل عليه السلام ان النار قد قصدت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأتى بقدح من ماء فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله خذ هذا فارشه عليها فيرشه عليها فتطفأ فى الحال فيقول صلى الله عليه وسلم ما هذا الماء فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت ان أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار باذن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ارزقنى عينين

تمكيان من خشيتك قبل ان يكون الدمع
أعيني هلا تبكيان على ذنبي * تفاثر عمري من يدي ولا أدري

وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا (حكى) عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى انه كان اذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع فينبغي للمؤمن ان يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومن أراد ان ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي (وفي زهر الرياض) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة تلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بألوان الاطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله ياعبادي ما هذه الحيرة وليست هذه دار حيرة فيقولون ان لنا موعدا قد جاء وقته فيقول الله تعالى للملائكة ارفعوا الحجب عن الوجوه فتقول الملائكة يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة فيقول الله تعالى ارفعوا الحجب فانهم كانوا اذا كرين ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي فترفع الحجب فينظرون فيخرجون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة فيتجلى لهم بلا كيف ويقول لهم انبسطا سلام عليكم عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عني فيقولون ومالنا يا رب لا نرضى وقد أعطيتنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم

الباب الثالث في الصبر والرضى

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليمنع نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها كما قال الله تعالى والله يحب الصابرين والصبر على أوجه صبر على طاعة الله وصبر عن محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الاولى فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والارض السابعة ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة تسعمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين العرش الى الثرى (حكى) ان زكريا عليه السلام هرب من اليهود فتبعوا أثره فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها شجرة أدخليني فيك فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التأمت عليه فأشار عليهم ابليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال ابليس وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله فأورثه ذلك هلاك نفسه فتشر بالمنشار على فرقين كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي الا أعطيته قبل ان يسألني واستجبت له قبل أن يدعوني وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني الا أغلقت أبواب السماء عليه فلما بلغ المنشار الى دماغه صاح فقيل له يا زكريا ان الله يقول لك لم لا تصبر للبلاء تقول آه لو قلتها مرة ثانية لاخرج اسمك من ديوان الانبياء فمض زكريا بشقيه وصبر حتى نشروه نصفين فيجب على العاقل ان يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة لان أشد البلاء على

الانبياء والاولياء قال الجنيد البغدادي رحمه الله البلاء سراج العارفين ويقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر قال صلى الله عليه وسلم من مرض ليلة فصبر ورضي عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا مرضتم فلا تتمنوا العافية قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اذا ابتلى الله العبد المؤمن يأتي الشمال قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين أكتب لعبدي أحسن ما كان يعمل وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظروا ما يقول عبدي فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدي علي ان أنا توفيته ان أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أكفر عنه سيآته (حكي) أنه كان في بني اسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا الى الله تعالى فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان في بني اسرائيل شابا فاسقا فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه فقام موسى عليه السلام فأخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى ان يخرجه من تلك القرية فأخرجه موسى عليه السلام فخرج الى مفازة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طير فرض في تلك المفازة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني ولبكت على مذلتي ولو كان والدي حاضرا لاعانني وتولى أمري ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على فراقي ولو كان أولادي حاضرين عندي لبكوا خلف جنازتي وقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق المطرود من بلده الى قريته ومن القرية الى مفازة ومن المفازة يخرج من الدنيا الى الآخرة آيس من كل الاشياء اللهم قطعتني عن والدي وأولادي وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فانك أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لاجل معصيتي فأرسل الله تعالى له حورا على صفة أمه وحورا على صفة زوجته وغلمانا على صفة أولاده وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال ان هذا والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي حضروا عندي وطاب قلبه ووصل الى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذهب الى مفازة كذا وموضع كذا فانه مات فيه ولي من الاولياء فأحضره وتولى أمره ووارى فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور العين حواليه فقال موسى عليه السلام يارب أما هذا الشاب الذي أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك فقال الله تعالى يا موسى اني رحمته وتجاوزت عنه بأنينه في موضعه وفراقه وطنه ووالدته وولده وأولاده وزوجته وأرسلت اليه حورا على صفة والدته وملكا على صفة والده وحورا على صفة زوجته يترحمون على مذلته في غربته فانه اذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الارض رحمته فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين * اذا وقع الغريب في التنوع يقول الله تعالى يا ملائكتي هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه واذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من الملائكة على صورة أبيه وواحدا على صورة أمه وواحدا على صورة ولده وواحدا على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيرى والديه وعياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع الفرح والسرور ثم اذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له على قبره الى يوم القيامة فذلك قوله تعالى الله لطيف بعباده (وقال ابن عطاء) يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام

الرخاء وجزع فى أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع فى رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء فى الحديث القدسى يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يشكر لعطائى فليطلب ربا سواى (حكى وهب بن منبه) ان نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك فقال يا رب لماذا تغفر لى ولم أذنب قط فأمر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فقام ملك الصبح فشكا اليه ما لقى من ضربان العرق فقال ان ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق

﴿الباب الرابع فى الرياضة والشهوة النفسانية﴾

أوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى ان أردت أن أكون أقرب اليك من كلامك الى لسانك ومن وسوسة قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى أذنك فأكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى ما عملت فى يوم القيامة اعلم أيها الانسان ان النفس الامارة بالسوء هى أعدى لك من ابليس وانما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها فلا تغتر لك نفسك بالامانى والغرور لان من طبع النفس الامن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شئ منها غرور وان رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت وان غفلت عن محاسبتها غرقت وان عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك الى النار وليس للنفس مرجوع الى الخير وهى رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهى خزانة ابليس ومأوى كل شر لا يعرفها الا من اتقاها واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعنى من الخير والشر واذا تفكر العبد فيما مضى من عمره فى طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة كذا فى تفسير أبى الليث فينبغى للعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجو به فى الدار الآخرة ويقصر الأمل ويعجل التوبة ويذكر الله تعالى ويترك المناهى ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالاخلاص فهو الذى قهر نفسه (روى) ان مالك بن دينار كان يمشى فى سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه البقال وقال أعطنى التين فرأى البقال النعل وقال لا يساوى شيأ فمضى مالك فقيل للبقال أليس تعرف من هذا قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له ان قبل هذا منك فأنت حر فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له اقبل هذا منى فأبى فقال اقبل فان فيه تحريرى فقال له مالك بن دينار ان كان فيه تحريرك ففيه تعذيبى فأطلع الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين الى يوم الدين ﴿حكى﴾ ان مالك بن دينار مرض مرضه الذى مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله اليه فأخذ مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقى من عمرك ساعة وردى القدح من يديه وصبر نفسه ومات وهكذا أحوال الانبياء والاولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين قال سليمان بن داود عليه السلام ان القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ما أبالى ونفسى الا كراهى غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر من أمات نفسه يأمن فى كفن الراحة ويدفن فى أرض الكرامة ومن أمات قلبه يموت فى كفن اللعنة ويدفن فى أرض العقوبة (قال) يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى جاهد نفسك

بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام وحمل الاذى من الانام والقلة من الطعام فيتولد من قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات ومن قلة الطعام موت الشهوات لان فى كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره نور الحكمة الجوع والشبع يبعد من الله كما قال صلى الله عليه وسلم نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فان الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه وفقد حلاوة العبادات (قال) أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما شبعت منذ أسلمت لاجد حلاوة عبادة ربى وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربى لان فى كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا أكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجىء منه شىء وان اجتهد الا النوم فيكون كالجيفة الملقاة كذا فى منهاج العابدين (عن لقمان الحكيم) أنه قال لابنه لا تكثر النوم والاكل فان من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الاعمال الصالحة كذا فى منية المفتى وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلى والبخار يصل اليه فكثرة البخار تكدره وتسوده وفى كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة (حكى) عن يحيى بن زكريا عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التى أصيد بها بنى آدم قال يحيى هل تجد لى فيها شيأ قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلت عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لاجرم انى لا أشبع بعدها أبدا فقال ابليس لاجرم انى لا أنصح أحدا أبدا فهذه فمن لم يشبع فى عمره الا ليلة فكيف عن لا يجوع فى عمره ليلة ثم يطمع فى العبادة (حكى) أيضا عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه شبع مرة من خبز شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا هى خير لك من دارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بدل الدموع ولبست الحديد بدل الثوب

﴿الباب الخامس فى غلبة النفس وعداوة الشيطان﴾

ينبغى للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجوع اذ الجوع قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات والاكل والشرب كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ان أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهاهما ربهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات (وقال بعض الحكماء) من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هفواتها ومنعت قلبه من الفوائد من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجرة الندامة ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ﴿حكاية﴾ قال ابراهيم الخواص كنت فى جبل

اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال لي وعليك السلام يا ابراهيم فقلت من أين عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنابير فقال واني أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فان الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولذع الزنابير يجد ألمه في الدنيا ولذع الزنابير على النفوس ولذع الشهوات على القلوب فمضيت وتركته * الشهوة تصير الملوك عبيدا والصبر يصير العبيد ملوكا ألا ترى الى قصة يوسف عليه السلام وزليخا فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لاجل شهوتها فان زليخا لم تصبر عن محبة يوسف (حكى) أبو الحسن الرازي أنه رأى والده في منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال له يا أبي مالي أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا ولدي جذبتني نفسي الى النار فاحذر يا ولدي من خديعة نفسك

انى ابتليت بأربع ما سلطوا * الا لشدة شقوتي وعنائي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائي
وأرى الهوى تدعو اليه خواطري * في ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الاصم رحمه الله نفسي رباطي وعلمي سلاحي وذنبي خيبتي والشيطان عدوي وأنا بنفسي غادر (حكى عن بعض أهل المعرفة) انه قال الجهاد على ثلاثة أصناف جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذي في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن وجهاد مع النفس الامارة بالسوء كالذي في قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد جهاد النفس وان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا اذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وانما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لان الجهاد معهما أدوم وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت ولان الغازي يرى العدو ولا يرى الشيطان والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ولان للشيطان معينا من نفسك وهو الهوى وليس للكافر من نفسك معين فلذلك كان أشد ولانك اذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وان قتلك الكافر تجد الشهادة والجنة ولا تقدر أن تقتل الشيطان وان قتلك الشيطان تقع في عقوبة الرحمن كما قيل من فر منه فرسه في الحرب يقع في أيدي الكفار ومن فر منه الايمان يقع في غضب الجبار نعوذ بالله منه ومن وقع في أيدي الكفار لا تغل يده الى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعرى بدنه ومن وقع في غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده الى عنقه بالاغلال وتقيد رجله بقيود النار ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار

﴿الباب السادس في الغفلة﴾

الغفلة تزيد الحسرة الغفلة تزيل النعمة وتحجب عن الخدمة الغفلة تزيد الحسد الغفلة تزيد الملامة والندامة حكى ان بعض الصالحين رأى أستاذه في المنام فسأله أي الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة وروى ان بعضهم رأى ذا النون المصري في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي يا مدعي يا كذاب ادعيت محبتي ثم غفلت عني

أنت فى غفلة وقلبك ساهى * ذهب العمر والذنوب كماهى

(حكى) ان رجلا من الصالحين رأى والده فى منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدى عشنا فى الدنيا غافلين وتمتنا غافلين (وفى زهر الرياض) كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحى فقال بل زائرا قال فانى أسألك حاجة قال وما هى قال أن تعلمنى اذا دنا أجلى وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل اليك رسولين أو ثلاثة فلما انقضى أجله أتى اليه ملك الموت فقال أزائرا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتنى انك ترسل الىّ رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم قبل الموت

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل * وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة * وعيشك فى الدنيا محال وباطل

(قال) أبو على الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكى وقد بلغ أرذل العمر فقلت له أيها الشيخ مم بكاؤك أعلى الدنيا فقال كلا بل أبكى على فوت صلاتى قلت وكيف ذلك وقد كنت مصليا قال لانى قد بقيت الى يومى هذا وما سجدت الا فى غفلة ولا رفعت رأسى الا فى غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم انه تنفس الصعداء وأنشأ يقول

تفكرت فى حشرى ويوم قيامتى * واصباح خدى فى المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز ورفعة * رهينا بجرمى والتراب وسادیا
تفكرت فى طول الحساب وعرضه * وذل مقامى حين أعطى كتابيا
ولكن رجائى فيك ربى وخالقى * بأنك تعفو يا الهى خطائيا

وفى عيون الاخبار ذكر عن شقيق البلخى أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها فى أفعالهم يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الاحرار وهذا خلاف قولهم ويقولون ان الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم الا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم فانظر لنفسك يا أخى بأى بدن تقف بين يدى الله تعالى وبأى لسان تجيبه وماذا تقول اذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون أى من الخير والشر ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحدوه فى السر والعلانية (جاء فى الخبر) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعنى ومحب من أحبنى ومجيب من دعانى وغافر لمن استغفرنى فينبغى للعاقل أن يطيع الله بالخوف والاخلاص فى طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة بأعطائه يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى ولم يقنع بعطائى فليطلب ربا سوائى وقال رجل للحسن البصرى رحمه الله انى لا أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت فى وجه من لا يخاف الله العبودية أن تترك الاشياء كلها لله وقال رجل لابى يزيد رحمه الله انى لا أجد للطاعة لذة فقال لانك تعبد الطاعة لا تعبد الله اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة (حكى) ان رجلا دخل فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد خطر بباله انه عابد لله فى الحقيقة فغوى فى السر كذبت انما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد ونوى كذبت انما تعبد مالك فتصدق بماله كله

ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى كذبت انما تعبد دنيا بك فتصدق بها الا مالا بد له منه ثم شرع فيها فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى الآن صدقت انما تعبد بك (وفى رونق المجالس) ضاع لرجل جوالق فلم يدر من أخذه منه فلما دخل فى الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان ابن فلان واسترد منه الجوالق فقال له الغلام متى ذكرته فقال حين كنت فى الصلاة فقال حين كنت فى الصلاة فقال يا مولاى كنت طالب الجوالق لا طالب الخالق فاعتقه مولاه ببركة اعتقاده *فينبغى للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة كما قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا أى ملاذها من لباسها وطعامها وشرابها نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب بأن ينزع من قلبه حب الآخرة ولذلك أنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار فى السر وأربعين ألف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شئ وكان صلى الله عليه وسلم معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء رضى الله عنها الذى زوجها النبى صلى الله عليه وسلم من على جلد كبش مدبوغ ووسادة أدم حشوها ليف

(الباب السابع فى نسيان الله تعالى والفسق والنفاق)

جاءت امرأة الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقالت ان كانت لى ابنة شابة فماتت وأحببت ان أراها فى المنام فحدثنى كى تعلمنى ما أستعين به على رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها لباس من قطران وفى عنقها الغل وفى رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاغتم ومضت مدة ثم رآها الحسن فى الجنة وعلى رأسها تاج فقالت يا حسن أما تعرفنى أنا ابنة المرأة التى أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذى صيرك الى ما أرى قالت مر بنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون انسانا فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل (نكتة) بصلاة رجل على محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم المغفرة فمن يصلى عليه منذ خمسين سنة فلا يجد شفاعته يوم القيامة *قال الله تعالى (ولا تكونوا) أى فى المعصية (كالذين) يعنى كالمنافقين الذين (نسوا الله) يعنى تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه فى الصلاة والصيام والمنافق همه فى الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح والمنافق يأمر وينهى رياسة ويفسد بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف *كما قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الآية يعنى ان ما تواطئ على كفرهم ونفاقهم فبدأ بالمنافقين لانهم شر من الكفار وجعل مأواهم جميعا النار وقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم

نصيرا الآية والمنافق اشتقاقه في اللغة من نافقاء اليربوع ويقال ان لليربوع جحرتين احداهما النافقاء والاخرى القاصعاء فيظهر نفسه في احداهما ويخرج من الأخرى ولهذا سمي المنافق منافقا لانه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الاسلام الى الكفر (وفي الحديث) مثل المنافق كمثل الشاة تري بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما لانها غريبة ليست منهما وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين *ان الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى لها سبعة أبواب الآية من حديد مطبقة باللعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص النار من فوق أهلها والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها الدرك الاسفل وجاء في الخبر ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار وحوها فقال ان الله عز وجل خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة والذي بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن دلوا من شرابها صب على ماء الارض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الآية كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب لو وضع على جبال الدنيا لذابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وسأل صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أهي كأبواب هذه فقال يا رسول الله لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا وسأله أيضا عن سكان هذه الابواب فقال أما الاسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تخبرني عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألني عنه فقال له أخبرني عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا (روى) أنه لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها اشتد خوفه صلى الله عليه وسلم على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره يخافه خوفا شديدا ويبكي على نفسه وتفريطه قبل ان يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة المهولة وقبل ان تنهتك الاستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار فكم من شيخ ينادي في النار واشيبتاه وكم من شاب ينادي في النار واشباباه وكم من امرأة في النار تنادي وافضيحتاه واهتك ستراه وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر نساؤهم اللهم اجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار وادخلنا الجنة مع الابرار برحمتك يا عزيز يا غفار اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأقلنا من عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن في التوبة﴾

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا والامر للوجوب وقال تعالى

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعني عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم (فأنساهم أنفسهم) يعني أنساهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (أولئك هم الفاسقون) يعني العاصون الناقضون عهدهم أي الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل في الضلالة كما قال الله تعالى فسق عن أمر ربه يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان والفاسق الفاجر هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزني ويعصي الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا يأتي بالشرك والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى غفرانه الا بالشهادة والتوبة قبل موته والفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت فان كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى غفرانها ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر فينبغي للانسان أن يتوب من ذنوبه قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت الآية يعني يتجاوز عنها عملوا بقبوله التوبة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿حكي﴾ ان رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه في ديوان فاذنب يوما ذنبا فنشر ديوانه ليكتبه فيه فلم يجد فيه الا قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية يعني يبدل مكان الشرك الايمان ومكان الزنا العفو ومكان المعصية العصمة والطاعة (وحكي) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وقتا من الاوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك وكان فيها خمر فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال في سره الهي لا تخجلني عند عمر ولا تفضحني واسترني عنده فلا أشرب الخمر أبدا ثم قال يا أمير المؤمنين الذي أحمل هو خل فقال أرني حتى أراها فكشفها بين يديه فرآها خمرا صارت خلا فانظر الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه اخلاص التوبة فلو تاب العاصي المفلس عن الاعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بدل الله سبحانه وتعالى خير سيآته بخير الطاعة ﴿وذكر﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بامرأة في الطريق فقالت يا أبا هريرة اني ارتكبت ذنبا فهل لي من توبة فقلت وما ذنبك قالت اني زنيت وقتلت ولدي من الزنا فقلت لها هلكت وأهلكت والله ما لك من توبة فخرت مغشيا عليها فقمت في نفسي أقفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فرجعت اليه فأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية فخررت وقلت من يدلني على امرأة تسألني مسئلة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت ان لي حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله ﴿حكاية﴾ عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصري وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعني ألم يجئ وقت تخاف قلوبهم فوعظ الشيخ في تفسير هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس فقام من بينهم شاب فقال يا تقي المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي اذا تاب فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة خر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال

هذه الابيات

أياشابا الرب العرش عاصي * أتدري ماجزاء ذوي المعاصي
سعير للعصاة لها زفير * وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي
فان تصبر على النيران فاعصه * والا كن عن العصيان قاصي
وفيما قد كسبت من الخطايا * رهنت النفس فاجهد في الخلاص

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال ياشيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلي اللئيم فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافي الا الرب المعافي ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات الاولى قال الهي ان كنت قبلت توبتي وغفرت ذنوبي فأكرمني بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن والثانية قال الهي أكرمني بحسن الصوت حتى ان كل من سمع قراءتي يزداد رقة في قلبه وان كان قاسي القلب والثالثة قال الهي أكرمني بالرزق الحلال وارزقني من حيث لا أحتسب فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وكان يوضع في بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدري أحد من يضعها وكان على هذه الحالة حتى فارق الدنيا وهذا حال من أناب الى الله تعالى لان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا * وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أم ردت فقال لا حكم في ذلك ولكن لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ويرى الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق فيرى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ويرى قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالى عليه ويكون حافظا للسانه دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه

﴿الباب التاسع في المحبة﴾

ذكر ان رجلا رأى صورة قبيحة في البادية فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح قال فما النجاة منك قالت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما * وحكي * ان رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في المنام ولم يلتفت اليه فقال يارسول الله أأنت علي غضبان قال لا قال فلم لا تنظر الي قال لاني لا أعرفك فقال كيف لا تعرفني وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء انك أعرف بأمتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن انك لا تذكرني بالصلاة وان معرفتي بأمتي بقدر صلاتهم علي ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك في المنام فقال أعرفك الآن وأشفع لك أي لانه صار محبا رسول الله انتهى * قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب بن الاشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن في المنزلة أبناء الله ونحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني على ديني فاني رسول الله أؤدي رسالته اليكم وشفقته عليكم يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه قال الامام في احيائه من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ومن ادعى حب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب كما قالت رابعة

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا العمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه (وحكي) ان جماعة دخلوا على الشبلي رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحباؤك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لم تهربون مني لو كنتم أحبائي لما فررتم من بلائي ثم قال الشبلي رحمه الله أهل المحبة شربوا بكاس الوداد فضاقت عليهم الارض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا في عظمته وتحيروا في قدرته وشربوا بكاس حبه وغرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ثم أنشد

ذكر المحبة يا مولاي أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران

ويقال ان البعير اذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوما ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله لحمله لانه اذا هاج في قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه فاذا كان من شأن الابل أن تترك شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لاجل محبوبها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لاجل الله وهل تركتم طعاما وشرابا لاجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملا ثقيلا لاجل الله تعالى فان لم تفعلوا شيأ من الخيرات مما ذكرت فدعواكم اسم بلا معنى لا تنفع في الدنيا ولا في العقبى ولا عند الخلق ولا عند الخالق وعن علي كرم الله وجهه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات (وسئل) ابراهيم الخواص عن المحبة فقال محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات واغراق نفسه في بحر الاشارات

﴿الباب العاشر في العشق﴾

الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا فيجاوز الى أن يكون رقيقا لمحبوبه وينفق ما يملك لاجله ألا ترى الى زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام ان ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقر سبعين جملا وقد أنفقتها كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمي كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق واذا رفعت رأسها الى السماء رأت اسم يوسف مكتوبا على الكواكب وروي أنها لما آمنت وتزوجت به عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذ عرفته فما أبقت محبته لسواه وما أريده بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه (وحكي) أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو مات ليلى قال ان ليلى في قلبي لم تمت أنا ليلى ومر يوما على دار ليلى فنظر الى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر الى السماء ولكن انظر الى جدار ليلى لعلك تراها فقال أنا أكتفي بنجم يقع ظله على دار ليلى * (وحكي) عن منصور الحلاج رحمه الله تعالى انهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاءه

الشبلي رضي الله عنه فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألني اليوم واسألني غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لاجل قتله مر الشبلي بين يديه فنادى يا شبلي المحبة أولها حرق وآخرها قتل (اشارة) لما تحقق للحلاج رضي الله عنه في نظره ان كل شيء ما خلا الله باطل وعلم ان الله هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فسئل من أنت قال أنا الحق (روى) ان صدق المحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره ويختار رضا حبيبه على رضا غيره كذا في المنتهى وقيل العشق هتك الاستار وكشف الاسرار والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يحس ولا يشعر (وحكى) ان رجلا كان يغتسل في الفرات فسمع رجلا يقرأ وامتاز وا اليوم أيها المجرمون فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا الا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فمات قال الجنيد رحمه الله تعالى التصوف ترك الاختيار (وحكى) ان ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريان مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنت يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول قلت وأنا مثلك فبكى وبكيت أنا بكائه قال أتبكي أنت فقلت أنا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبي وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم أجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول يا ذا النون ان هذا الغريب الذي طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده وطلبه ملك فما يره وطلبه رضوان في الجنة فما وجده قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب محبته وكثرة طاعته وتجميل توبته كذا في زهر الرياض (وسئل) بعض المشايخ عن الحب فقال قليل الغلطة كثير الخلوة دائم الفكرة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يفهم اذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا يدري ويعري ولا يشعر ويشبع ولا يخشى ينظر الى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا في دنياهم وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة أبياتا

لا تخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه * وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا * متحفظا من كل ما هو قائل

(حكاية) مر عيسى عليه السلام بشاب يسوق بقرا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقني من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة فقال نصف ذرة فقال عيسى عليه السلام يا رب ارزقه نصف ذرة من محبتك فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مر بعجل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب الى الجبال فدعا الله عيسى عليه السلام أن يريها اياه فرآه بين الجبال فوجده قائما على

مخمرة شاخصا طرفه الى السماء فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى الى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتي فوعزتي وجلالي لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك * من ادعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادعى حلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا وثانيها من ادعى محبة الاخلاص في العمل ويحب تعظيم الناس له وثالثها من ادعى محبة خالقه من غير اسقاط نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة وقال منصور بن عمار لشاب يعظه يا شاب لا يغرك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته فقال اني أتوب غدا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار في جوف القبر لا ينفعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم كما قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم اللهم ارزقنا التوبة قبل الموت ونبهنا عند الغفلة وانعشنا بشفاعة نبينا خير المرسلين صلى الله عليه وسلم صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته وينده على ما فعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالاخلاص ﴿حكاية﴾ كان رجل بخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تتصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أهل الدار بحق الله الا أعطيتموني شيأ فاعطته المرأة ثلاثة أرغفة فاستقبلها المنافق وقال من أعطاك هذه الأرغفة قال أعطوني من الدار الفلانية فكانت داره فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطي أحدا شيأ فقالت أعطيت لأجل الله عز وجل فذهب المنافق وأوقد التنور حتى حمي ثم قال قومي فألقي نفسك في التنور لأجل الله فقامت المرأة وأخذت حلتها فقال المنافق دعي الحلل فقالت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه وأنا أزاحم حبيبي ثم ألقت نفسها في التنور فاطبق المنافق عليها ومضى فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور فرأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول أما علمت ان النار لا تحرق أحبابنا ﴿وحكي﴾ ان آسية امرأة فرعون كانت تكتم ايمانها من فرعون فلما اطلع فرعون على ايمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بأنواع العذاب وقال ارتدي فلم ترتد فأتي بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال ارتدي فقالت انك تغلب نفسي وقلبي في عصمة ربي لو قطعتني ارباما ازددت الا حبا فقر موسى عليه السلام بين يديها فنادت موسى أخبرني أراض عني ربي أم ساخط قال موسى عليه السلام يا آسية ملائكة السموات في انتظارك أي مشتاقة اليك والله يباهي بك فاسأليني حاجتك فانها مقضية فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين وعن سلمان رضي الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة وعن أبي هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأخمصها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الآية قال الحسن فنجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين ودين المؤمنين

﴿الباب الحادي عشر في طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم﴾

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران قيل العبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحث على طاعته وعن الحسن قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمدا ان نحب ربنا فأنزل الله هذه الآية وعن بشر الحافي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا بشر أتدري بم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لاصحابك وأهل سنتي واتباعك لسنتي قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة وجاء في الآثار المشهورة ان المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الاسلام وقال كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على سنتي فهو معصية وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم انه كذاب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج نعوذ بالله منه قال الجنيد رحمه الله ما وصل أحد الى الله الا بالله والسبيل الى الوصول الى الله متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال أحمد الحواري رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال صلى الله عليه وسلم من ضيع سنتي حرمت عليه شفاعتي كذا في شرعة الاسلام (حكى) أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم (وحكى) عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك أتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وقال سهل رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حبه صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة قال ابو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا يعني غدوا وعشيا (حكى) أن عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع أحمد بن حرب قطعة من حشيش الارض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك وعودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى وجعلت ذلك طريقا يقتدي بك فيه ومنعته عن تسبيح ربه وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة كذا في رونق المجالس وعن السري رضي الله عنه قال رأيت مع الجرجاني سويقا

يستفتى منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره فقال انى حسبت ما بين المضغ والاستفاق تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وكان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة فاذا دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ويصبر فى بعض الاوقات عن الطعام سبعين يوما وكان اذا أكل ضعف واذا جاع قوى وجاء رأبو حماد الاسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤى انه أكل أو شرب ولا يخلو ساعة من ذكر الله (وحكى) أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله الا ثلاث للصلاة مع الجماعة ولعيادة المريض ولحضور الجنازة ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق الا جوهر نفيس لا فيقله فينبغى أن تعلم منه خزانة باقية فى الآخرة واعلموا بأن طالب الآخرة لا بد له من الزهد فى الحياة الدنيا ليصير همه واحدا ولا يفترق باطنه من ظاهره ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن قال الشبلى رحمه الله وكنت أول بدايتى اذا غلبنى النوم اكتحلت بالملح فاذا زاد على الامر أحمى الميل فأكتحل به (وحكى) عن ابراهيم بن الحاكم انه قال كان أبى اذا جاءه النوم دخل البحر فيسبح فتجتمع اليه حيتان البحر يسبحون معه (وحكى) أن وهب بن منبه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل فذهب عنه النوم أربعين سنة وكان حسن الحلاج قيد نفسه من كعبه الى ركبته بثلاثة عشر قيدا وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة وكان الجنيد يأتى الى السوق فى بداية أمره فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر فيصلى أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته ويصلى حبشى بن داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغى للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة وكلما أحدث يتطهر ويصلى ركعتين ويجتهد أن يستقبل القبلة فى كل مجلسه ويصور فى نفسه انه جالس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة والوقار فى الفعل ويحتمل الاذى ولا يقابل المسىء ويستغفر لكل مسىء ولا يجب بنفسه ولا يعجب فان العجب من صفة الشيطان وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين بعين الاحترام والتعظيم فمن لم يعرف حرمة الصالحين حرمه الله تعالى محبتهم ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها * سئل الفضيل بن عياض فقيل له يا أبا على متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه والعمل الصالح فى جوارحه قال الله تعالى فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم يا أحمد ان أحببت أن تكون أورع الناس فازهد فى الدنيا وارغب فى الآخرة فقال الهى كيف أزهد فى الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكرى فقال يارب كيف أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع وقال صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير وطاعة * وحكى * ان بعض الصالحين مر على جماعة فاذا بطبيب يصف الداء والدواء فقال يا معالج الاجسام هل تعالج القلوب فقال الطبيب فنعم صف لى داءه فقال قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا فهل له من علاج فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار والاعتذار الى الملك الجبار فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبى فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بتلبه الى البر التواب * وحكى * ان رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يا مولاى ان لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة اذا جاء وقتها والثانى أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل والثالث أن تجعل لى منزلا فى بيتك لا يدخله غيرى فقال له الرجل لك هذه

الشروط ثم قال الرجل انظر فى البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتا خرابا فقال أخذت هذا فقال يا غلام اخترت بيتا خرابا فقال الغلام يا مولاى أما علمت أن الخراب مع الله بستان فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى فبينما هو كذلك اذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا هى منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والارض والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول الهى أوجبت على حق مولاى وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهارى الا بخدمتك فاعذرنى يا رب ومولاه ينظر اليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء الى باب الحجرة فاذا الغلام فى السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران اليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر اليه فرفع الغلام يديه الى السماء وقال

يا صاحب السران السر قد ظهرا * ولا أريد حياتى بعدما اشتهرا

ثم قال الهى أسألك الموت فخر الغلام ميتا هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين وفى زهر الرياض ان موسى عليه السلام كان له صديق يأنس به فقال ذات يوم يا موسى ادع الله أن يعرفنى اياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فطفق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقده موسى فقال يا رب أخى ومؤنسى فقدته فقيل له يا موسى من عرفنى حق معرفتى لا يحسب مخلوقا أبدا وجاء فى الاخبار ان يحيى وعيسى عليهما السلام كانا عيشيان فى السوق فصدمتهما امرأة فقال يحيى والله ما شعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله بدنك معى وقلبك أين قال يا ابن الخالة لو اطمأن قلبى الى غير ربى طرفة عين لظننت انى ما عرفت الله ويقال حد المعرفة أن يطلق الدنيا والعقبى ويتجرد للمولى وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحو الا عند الرؤية فهو على نور من ربه

الباب الثانى عشر فى ذكر ابليس وعذابه

قال الله سبحانه وتعالى فان تولوا أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين يعنى لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم كما لم يقبل توبة ابليس لكفره واستكباره وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لانه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وان لم يكن ذنبا حقيقة لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا تقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر فمن كان حاله مثل حال ابليس لم تقبل توبته ومن كان حاله مثل حال آدم قبل الله توبته لان كل معصية أصلها من الشهوة فانه يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر فانه لا يرجى غفرانها ومعصية آدم أصلها من الشهوة ومعصية ابليس أصلها من الكبر (حكى) ان ابليس جاء الى موسى عليه السلام فقال له أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما فقال له موسى نعم فما الذى تريد يا هذا ومن أنت فقال ابليس يا موسى قل لربك خلق من خلقك قد سألك التوبة فأوحى الله الى موسى قل له انى قد استجبت لك فيما سألت ومرهم يا موسى أن يسجدوا لقبر آدم فاذا سجدوا له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب

ابليس واستكبر وقال يا موسى انا لم أسجد له في الجنة فكيف أسجد له وهو ميت (روى) ان ابليس يشتد عليه العذاب في النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله فيقول أشد ما يكون فيقال له ان آدم في رياض الجنة قام بجدله واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف وجاء في الخبر ان الله تعالى يخرج ابليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده الى النار اخواني ان أردتم النجاة من ابليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا به اذا كان يوم القيامة يوضع كرسي من النار فيقعد عليه ابليس عليه اللعنة فيجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما وعدتكم قالوا حقا ثم يقول هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بجماعة من نار فيهوون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الامر بالخروج أبدا الا بد نعوذ بالله منها وروى انه يؤتى بابليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسي من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسي ويلقوه في النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدرون ثم يأمر اسرافيل ثم عزرائيل أيضا ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أضعاف ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن ينقلوه وطوق اللعنة على عنقه (وروى) ان ابليس كان اسمه في سماء الدنيا العابد وفي الثانية الزاهد وفي الثالثة العارف وفي الرابعة الولي وفي الخامسة التقي وفي السادسة الخازن وفي السابعة عزازيل وفي اللوح المحفوظ ابليس وهو غافل عن عاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأى لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وتكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المقدرة فلما رفعوا رؤسهم ورأوه لم يسجدوا هم قد وفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه بينهما كوجه القردة وعينيه مشقوقتين في طول وجهه ومنخريه مفتوحتين كبكوز الجام وشفتيه كشفتي الثور وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفي لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الارض الى الجزائر فلا يدخل الارض الا خفية ولعنه الى يوم الدين لانه صار من الكافرين وانظر كان بهي الصورة رباعي الاجنحة كثير العلم كثير العبادة طاوس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبيين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيأ ان في ذلك لذكرى (وفي الاثر) لما مكر بابليس بكى جبريل وميكائيل فقال الله لهما ما يبكيكما قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري (وروى) ان ابليس قال يا رب أخرجتني من الجنة لاجل آدم وأنا لا أقدر عليه الا بتسليطك قال أنت متسلط عليه أي على أولاده لعصمة الانبياء منه قال زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال زدني قال صدورهم مساكن لك تجري فيها مجرى الدم قال زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك أي استعن عليهم بأعوانك من راكب وماش وشاركهم في الاموال أي بحملهم على كسبها وصرفها في الحرام والاولاد أي باحثك على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء في الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بنحو عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الباطلة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم أي المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الامل

وهذا على طريق التهديد كاعملوا ما شئتم فقال آدم يارب قد سلطته على فلا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من الملائكة قال زدني قال الحسنة بعشر أمثالها قال زدني قال لا أنزع منهم التوبة مادامت أرواحهم في أبدانهم قال زدني قال أغفرلهم ولا أبالي قال اكتفيت فقال ابليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهان قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال الكذب قال فما قرآني قال الشعر قال فما مؤذني قال المزمار قال فما مساجدي قال الاسواق قال فما بيتي قال الحمام قال فما طعامي قال الذي لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال السكر قال فما مصايدي قال النساء

﴿الباب الثالث عشر في الامانة﴾

قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها أي امتنعن من قبولها وأشفقن منها أي خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة فيها ومعنى الامانة في هذه الآية الطاعة والفرائض التي يتعلق بادائها الثواب والعقاب قال القرطبي الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور واختلف في تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي في أمانة الاموال كالودائع وغيرها وروي عنه انها في كل الفرائض وأشدها أمانة المال وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له (قال الحسن) ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال فاضطربت وما فيها فقال الله لها ان أحسنت أجرتك وان أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال ذلك فقال قد تحملتها ولا يخفى ان عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال عرض تخيير لا عرض الزام ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية ضرب مثل أي أن السموات والارض والجبال على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها الثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي ان التكليف أمر عظيم حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان كما قال تعالى (وحملها الانسان) أي التزم بحقها آدم بعد عرضها عليه في عالم الذر عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه وعن ابن عباس قال عرضت الامانة على آدم فقيل خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان الا ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى والامانة مشتقة من الايمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال الشاعر

تبا لمن رضي الخيانة مهيعا * وازور عن صون الامانة جانبه
رفض الديانة والمروءة فاغتدى * تترى عليه من الزمان مصائبه

(وقال آخر)

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة * ان لا يرى الا صريع حوادث

مازالت الازراء ينزل بؤسها * أبدا بغادر ذمة أوناكث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير مالم ترالامانة مغنما والصدقة مغرما وقال صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان أي اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها أواستعمالها بغير اذنه فحفظ الامانة صفة الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين وشيمة الابرار المتقين قال الله سبحانه وتعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة وغيرهم فيجب على الولاة انصاف المظلوم واظهار حقه وذلك أمانة وحفظ أموال المسلمين لاسيما اليتامى ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهي أمانة اختار لحفظها العلماء ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب اذهو أمانة عنده قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (وفي زهر الرياض) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى أردت أمانة فلان فيقول لا يارب فيامر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به الى جهنم ويريه الامانة بعينها في قعر جهنم فيهوى فيها سبعين عاما حتى ينتهي الى قعرها ثم يصعد بالامانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوى فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرضى عنه صاحب الامانة وروى عن سلمة قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتي بجنازة ليصلي عليها فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتي بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيأ فقالوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتي بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم هل ترك شيأ قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وعن قتادة رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطاياي قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين

﴿الباب الرابع عشر في اتمام الصلاة بالخضوع والخشوع﴾

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون اعلم ان الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين واستدل من قال بالاول بحديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وبقوله تعالى أقم الصلاة لذكري والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين (أخرج) البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الآية وزاد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأطأ رأسه وروى عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء يعني ان الصلوات

تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيأ فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب والا فهى مردودة عليه وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم اذا فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما فيه ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخى اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (وروى) ان عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها وروى عن على بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم (وروى) عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى الصلاة وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وقال صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأسوء الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذى يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان كان قد أتمها هون عليه الحساب وان كان قد انتقص منها شيأ قال الله تعالى للملائكة هل لعبدى من تطوع فأتموا الفريضة منه وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أراد القيام الى الصلاة ترعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل له فى ذلك قال حان وقت أداء الامانة وقضاء الفريضة ولا أدرى كيف أؤديها ﴿وحكى﴾ عن خلف بن أيوب انه كان قائما فى الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فاعلمه بذلك فغسل ثوبه فقيل له يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال أيشعر بمثل هذا من يكون واقفا بين يدى الملك الجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه ثبور وقعت الاكلة فى يد عمرو بن ذر وكان جليلا فى الزهد والعبادة فقال له الاطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال

اقطعوها

اقطعوها فقالوا لا نقدر على قطعها الا أن نشدك بالحبال فقال لا ولكن اذا شرعت في الصلاة فاقطعوها حينئذ فلما دخل في الصلاة قطعت يده ولم يشعر بذلك

﴿الباب الخامس عشر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس المصلي غمامة بيضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تمطر فاذا أمطرت فأي قطرة قطرت على الارض يخلق الله الذهب منها وأي قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة وأي قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان (قال الله سبحانه وتعالى) كنتم خير أمة أخرجت للناس قال الكلبي هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الامة في الفضل على غيرها من الامم وفيها دليل على أن هذه الامة الاسلامية خير الامم على الاطلاق وان هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الامة وآخرها بالنسبة الى غيرها من الامم وان كانت متفاضلة في ذاتها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم ومعنى أخرجت أظهرت للناس أي لنفعهم ومصالحهم في جميع الاعصار حتى تميزت وعرفت وقوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير امم مايشتمل عليه مع انهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك فجعلهم الله خير الناس للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فتحج منفعتهم على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس (تؤمنون بالله) أي تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبي الله لان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بالله لانه يزعم ان الآيات المعجزات التي أتى بها من عند نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعني أضعف فعل أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الآية ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الامكان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الارض وخليفة كتابه وخليفة رسوله * عن حذيفة رضي الله عنه قال يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم قال موسى يارب ما جزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قال أكتب له بكل كلمة عبادة سنة وأستحي أن أعذبه بناري (وفي الحديث القدسي) يقول الله تعالى يا ابن آدم لا تسكن من تؤخر التوبة ويطول الامل ويرجع الى الآخرة بغير عمل يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين ان أعطى لم يشكر وان منع لم يصبر ويحب الصالحين وليس منهم ويبغض المنافقين وهو منهم يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر ولم ينته عنه وعن علي كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيأتي قوم في آخر الزمان أحداث الاسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت

ليلة أسري بي الى السماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم كما قال الله تعالى في حقهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يعني تتلون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون فيجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسون أنفسهم كما قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقد ذم الله أقواما بترك الامر بالمعروف فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) يعني لا ينهى بعضهم بعضا (لبئسما كانوا يفعلون) روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو اخياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر ان الله تعالى مجاهدين في الارض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين عيشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أنت كريوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر (وفي الخبر) ان الله تعالى قال يا موسى هل عملت لي عملا قط قال الهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسبحت لك وحمدت لك وقرأت كتابك وذكرتك قال الله تعالى يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما التسبيح فلك أشجار في الجنة وأما قراءة كتابي فلك حور وقصور وأما الذكر فلك نور فأي عمل عملت لي قال موسى دلني يا رب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي هذا قط فعلم موسى ان أفضل الاعمال الحب لله والبغض لله لأعدائه وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر * أوحى الله الى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وعن أنس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله

عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الاذى

﴿الباب السادس عشر في عداوة الشيطان﴾

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لا يعلمه ويتعظ بنصحهم ويجتنب الاعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعينوا عليه بربكم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين لنا صلى الله عليه وسلم كثرة طرق الشيطان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى حارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليلة لحقها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك قل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له الشيطان اني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك (وروى) ان ابليس سأل الشافعي رضي الله عنه ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فنظر في كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل فانصرف الى أن صار لا شيء ثم قال والله ياشافعي لقد أخرجت بمسئلتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (واعلم) ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثقبه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يديرها فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة (منها) الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى (ومنها) الحسد والحرص فهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى

ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص (ومنها) الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان فقد روي ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلت عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا (ومنها) حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويسخره فيها طول عمره فاذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله (ومنها) الطمع في الناس فقد روي صفوان بن سليم أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني أملك اذا غضبت (ومنها) العجلة وترك التثبت في الامور قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روي انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيأ فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايئسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة (ومنها) الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا يوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيحقق ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فوضع به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذ عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا (ومنها) البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهي معيشة الشياطين

(ومنها

(ومنها) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا قال الحسن رضي الله عنه بلغنا ان ابليس قال سوّلت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق اللعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التي تجرّ الى المعاصي فكيف يستغفرون منها (ومنها) سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الاشرار فهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الابواب من القلب ويعينه عليها ذكر الله تعالى (قال ابن اسحق) لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له صلى الله عليه وسلم أصحاب من غيرهم حذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوى وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها ولا يدخلون فيها غير قريشي الى أن يبلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذا رديوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ما ئة رجل وقيل كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البختري المقتول كافرا ببدر احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه في الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثركم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمر والعامري نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حيّ من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أدبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فتستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقلها هم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما فكان على أوّل من شرى نفسه في الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه (شعر)

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الاله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم ومايتهمونني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا فيه فأنزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية (شعر)

لا تجزعن فبعد العسر تيسير * وكل شيء له وقت وتقدير
وللمقدر في أحوالنا نظر * وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه (روى) الحاكم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال أبو بكر الصديق وأخبره صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة أي أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار وروى الطبراني في حديث أسماء كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي متغطيا رأسه في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر رضي الله عنه فدى له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت عائشة رضي الله عنها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعني عائشة وأسماء وفي رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هما ابنتاي فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله عنها فرأيت أبا بكر يبكي وما حسبت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال صلى الله عليه وسلم لا بل بالثمن وفي رواية فقال بثمنها ان شئت وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى قالت عائشة فجهزناهما أحث أي أسرع الجهاز وفي رواية أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة أي زادا في جراب زاد الواقدي انه كان في السفرة شاة مطبوخة قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون ما يشد به الوسط قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليالي وهو جبل بمكة نزله ثور بن عبد مناة فنسب له وروى أنهما خرجا من خوخة أي باب صغير لأبي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار وروى ان أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء بنت أبي بكر وخرج أبو بكر معه بخمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا

القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الاثر في كل وجه فوجد الذي ذهب جهة ثور فأثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع الاثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى القاضي عياض انه صلى الله عليه وسلم ناداه جبريل اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأهبط فناداه حراء الى يا رسول الله وروى انه لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهي شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وان ذلك عاصد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوز يا بالنسل وحمايته في الحرم فلا يتعرض له ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعلم ان الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أي حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاء عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمي على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

(وروى الشيخان عن أنس قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وذكر بعض أهل السير ان أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وعن الحسن البصري بلغا ان أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي امامك فقال لو كان شيء أحببت ان تقتل دوني قال أي والذي بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبري لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولقد أحسن حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت منه (حكي) ان زاهدا من الزهاد

اسمه زكريا مرض مرضا شديدا وداوى ناوقت أجله فأتاه صديقه فى سكرات الموت ولقنه لا اله الا الله محمد رسول الله فأعرض الراهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا فأعرض فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الراهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لى شيأ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت فى مرتين وقلت فى الثالثة لا أقول فقال أتانى ابليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يمينى وهو يحرك القدح فقال لى أتحتاج الى الماء قلت بلى قال عيسى بن الله فأعرضت عنه ثم أتانى من قبل رجلى فقال لى كذلك فأعرضت عنه وفى الثالثة قال لى كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا فأنا رددت على ابليس لا عليكم فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال سأل بعضهم ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا لسانا حسودا وأعنا على ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم

(الباب السابع عشر فى بيان الامانة والتوبة)

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبى يقول بينما سفيان الثورى يطوف اذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يا هذا انك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم هل عندك فى هذا شئ قال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثورى قال لولا انك أزهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالى ولا أطلعتك على سرى ثم قال لى خرجت ووالدى حاجا الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت فى بعض المنازل مرض والدى فقمت بشأنه حتى مات فاسود وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون وغطيت وجهه فغلبتنى عيناى فنمت فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدى فكشف الازار عن وجهه فأمر يده على وجهه فابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذى من الله على والدى بك فى أرض الغربة قال أوما تعرفنى أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى وأنا غياث من أكثر الصلاة على فانتبهت فاذا وجهه أبى قد ابيض (وروى) عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة (اعلم) ان الامانة مأخوذة من الأمن لانه يؤمن صاحبها من منع الحق وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لانك اذا خنت أحدا فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو من كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ومدح أعرابى قوما فقال شعفوا برعى الامانة فلا يغدرون بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خيرامة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الاعرابى قد انقرضوا فلم نر فى هذه الازمان الا ذئابا فى ثياب كما قال

عن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وكما قال آخر)

ذهب الذين يقال عند فراقهم * ليت البلاد وما بها تتصدع

وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الامانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الامانة وحتى يقال ان في بني فلان أمينا (واعلم) أن التوبة واجبة بالاخبار والآيات قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودماؤهم مستجاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى أن حبشيا قال يا رسول الله اني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا أخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بأنهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها وجل منها قلبه حيث عنه في أم الكتاب ويروى أن نبيا من الانبياء أذنب فأوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم

التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس (ويروى) أنه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك (وروى) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوى عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الارض ومقامه من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (واعلم) أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فورا فان الاصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا نادما غير عازم على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها فاذا كشف عنها الغطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق ينظرون الى أهل الطاعة الظاهرة فاذا كشف الغطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس بتائب أي لانه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها ان أمكن واستحلالهم منها ان تيسر والا أكثر من الاستغفار له ولهم عسى الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أقبح المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل

يا أيها المذنب المحصي جرائمه * لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب الى الله قبل الموت وانزجرا * يا عاصيا واعترف ان كنت معترفا

(وروى الفقيه أبو الليث) بسنده قال دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله يا عمر قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا شاب قال يا رسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركت بالله شيأ قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال فان الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والارضين والجبال قال يا رسول الله ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يا رسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم الهك يعني عفو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم يعني عظيم التجاوز ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن ذنبك قال اني أستحي منك يا رسول الله قال بل أخبرني قال يا رسول الله اني كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الانصار فدفنت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان علي فرجعت فاذا معها ثم مضيت غير بعيد واذا بالجارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تستحي من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم

تركتني عريانة في عسكر الموتى وأوقفتني جنبا بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدفع في قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك الى النار اخرج عني فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه الى السماء وقال يا الله محمد وآدم وابراهيم ان كنت غفرت لي فاعلم محمدا وأصحابه صلى الله عليه وسلم والا فارسل نارا من السماء فاحرقني بها وانجني من عذاب الآخرة قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو الذي خلقني وخلقهم ورزقني ورزقهم قال جبريل عليه السلام يقول لك الله تعالى اني تبت على الشاب فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه (حكي) أنه كان في زمن موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على التوبة كلما تاب أفسد فمكث على ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالى الى موسى قل لعبدي فلان اني غضبت عليه فبلغ موسى عليه السلام الرسالة الى ذلك الرجل فحزن وذهب الى الصحراء قائلا الهي أنفدت رحمتك أم ضرتك معصيتي أم نفدت خزائن عفوك أم بخلت على عبادك أي ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتي الحادثة أفتغلب صفتي صفتك واذا حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وان طردتهم فالى من يقصدون الهي ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لا بد من عذابي فاحمل علي جميع عذاب عبادك فاني قد فديتهم بنفسي فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الارض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة وقال صلى الله عليه وسلم ما من صوت أحب الى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يا رب فيقول الرب لبيك يا عبدي سل ما تريد انت عندي كبعض ملائكتي أنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت له (قال ذو النون المصري) رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب بروامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ثمارا حزنا فجنوا من غير جنون وتلذذوا من غير عيش ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم توطنت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بجبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردوا خانق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا برياح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

﴿الباب الثامن عشر في فضل الترحم﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره ومعنى رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى في أذية المسلم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ويرحم البهائم فلا يكلفها ما لا تطيق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا

الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له قالوا يا رسول الله ان لنا فى البهائم لأجرا قال فى كل ذات كبد رطبة أجر وعن أنس بن مالك قال بينما عمر رضى الله عنه يعس ذات ليلة اذ مر برفقة قد نزلت فخشى عليهم السرقة فلقى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال ما الذى جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فخشيت انهم اذا باتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فعداقر يبا من الرفقة يحرسان حتى اذا طلع الفجر نادى عمر رضى الله عنه يا أهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا ان نقتدى بالصحابة رضى الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة فقد روى عن عمر رضى الله عنه انه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضى الله عنه ما أنصفناك أخذنا منك الجزية مادمت شابا ثم ضيعناك اليوم وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين وروى عن على رضى الله عنه قال رأيت عمر رضى الله عنه على قتب وهو يغدو بالابطح فقلت له يا أمير المؤمنين أين تصير قال بعيرند من الصدقة فأنا أطلبه فقلت له لقد أذللت الخلفاء من بعدك فقال لا تلمنى يا أبا الحسن فوالذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة لو أن عناقا ذهب بشاطئ الفرات لاخذ بها عمر يوم القيامة لانه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بدلا أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال مالك بن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تعود مريضهم وان تحب تأئبهم وروى ان موسى عليه السلام قال يا رب بأى شئ اتخذتنى صفيا قال برحمتك على خلقى وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبى فعيشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر *(حكاية)* مر عابد من بنى اسرائيل على كثيب من رمل وقد أصابت بنى اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى فى نفسه ان هذا الرمل كان دقيقا لاشبع به بنى اسرائيل فأوحى الله الى نبى بنى اسرائيل ان قل لفلان ان الله تعالى قد أوجب لك من الاجر ما لو كان دقيقا وأشبعت به الناس ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله (حكى) ان عيسى عليه السلام خرج يوما فلقى ابليس وبيده عسل وفى الاخرى رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العسل والرماد قال أما العسل فأجعله على شفاه المتقابين حتى يبلغوا منها وأما الرماد فأضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجل يا ملائكتى من أبكى هذا الصبى الذى غيبت أباه فى التراب وقال صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة وفى روضة العلماء كان ابراهيم عليه السلام اذا أراد أن يأكل طعاما مشى الميل والميلين يطلب من يأكل معه وبكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك قال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام فأخاف ان يكون الله قد أهانني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم جائعا عاير يديه وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعذبه فى النار وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم الجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب العالم الذي يعمل بعلمه ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى مات والشهيد الذي قتل في المعركة لاعلاء كلمة الاسلام والسخي الذي اكتسب مالا من الحلال وأنفقه في سبيل الله بغير رياء فهؤلاء يتنازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وعن جابر رضي الله عنه قال قيل يارسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام

(الباب التاسع عشر في بيان الخشوع في الصلاة)

جاء في الخبر ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله كنت رأيت ملكا في السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكي فلما رآني قال أتشفع لي قلت ما جرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج قرب محمد صلى الله عليه وسلم فما قلت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله فشفعت له فقال الله تعالى ياجبريل قل له حتى يصلي على محمد فصلى ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنبت جناحيه (اعلم) أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يتم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله ويل للمطففين وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضر الصلاة قوموا الى نار ربكم التي أوقدتموها فأطفؤها وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تسكين وتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من

الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم وليس له من قيامه الا التعب والنصب وما أراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والاداء مع التعظيم والخروج مع الخوف وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة نهر يقال له الافيح فيه حواري خلقهن الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام ويقلن نحن لمن صلى صلاته بالخشوع والحضور فيقول الله تعالى لاسكننه داري ولاجعلنه من زواري (وروى) ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذا كرتني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته واعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في غير آية فقال في صلاتهم خاشعون على صلواتهم يحافظون على صلاتهم دائمون قيل ان المصلين كثير والخاشعين في الصلاة قليل والحاج كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآية والتقوى قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعلم) أنه لا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة في مظلم أو خال عن الشواغل من الاصوات والفرش المنقوشة والتجرد عن الملابس المزينة بحيث تلهيه اذا نظر اليها في الصلاة كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى أبي جهم فانها ألهتني آنفا عن صلاتي وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في صلاته اذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى ان أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ذبابي طار في الشجر يلتمس مخرجا فأتعبه بصره ساعة ثم لم يدركم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه كيف شئت (وعن رجل آخر) انه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدركم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق من يمر بين يديك قال صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد

و بعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك (وفى التوراة) مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدى مصليا يا كافا أنا الله الذى اقتربت من قلبك و بالغيب رأيت نورى وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يخونونى عبدى الا بادائها افترضته عليه

الباب العشرون فى بيان الغيبة والنميمة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى و يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وقالوا مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمى بها يمينا وشمالا فهو يرمى بحسناته كذلك وقال صلى الله عليه وسلم من رمى أخاه بغيبة يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة ذكرك أخاك بما يكره أى سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه ودابته حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ذكرك ما يكره من نفسه وروى ان امرأة قصيرة دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها ما أقصرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان فيها ثلاث آفات لا يستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتترادكم عليه السيآت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذم النميمة شر الناس يوم القيامة ذو وجهين النمام الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة نمام فان قيل ما الحكمة فى أن الله تعالى خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لان الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم الا ابليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه فأهبط الى الارض فجاء الى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد و يأخذ دواب البحر والبر فبلغ السمك دواب البحر بخبر آدم فأذهب الله لسانه (حكى) عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت فى ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها الى القبر فلما دفنت رجع الى أهلها ثم ذكر ان له كيسا كان معه فضيعه فى القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عنى حتى أنظر على أى حال هى فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر يشتعل نارا فرجع الى أمه فقال أخبرينى علام كانت أختى فقالت كانت أختك تأتى أبواب الجيران فتلقى أذنها الى أبوابهم حتى تستمع الحديث لكى تمشى بالنميمة فعلم ان هذا سبب

عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبة (وحكى) عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فعمل في جيبه درهمين وحلف ان اغتبت أحدا في طريق مكة ذاهبا أو آيبا فالله على ان أتصدق بهما فذهب الى مكة ورجع الى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له في ذلك قال لأن أزني مائة مرة أحب الي من ان اغتاب مرة واحدة قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب الي من ان أغتاب انسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هذا آيس من رحمة الله وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الاكلة في الجسد وقال أبو هريرة رضي الله عنه يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وروي أن سلمان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعام فبعثاه الى النبي صلى الله عليه وسلم لينظر عنده شيأ من الطعام فلم يجد فرجع اليهما فقالا انه لو ذهب الى بئر كذا لنبس ماؤها فنزلت هذه الآية ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه ميتا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وروى عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه ان ريح الغيبة كانت تبين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقلتها وأما في هذه الازمان فقد كثرت الغيبة وامتلأت الارض منها فلا تميز رائحتها مثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة ونتنها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام ويشربون فيها ولا تتبين لهم تلك الرائحة المنتنة لأنها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة في أيامنا هذه (قال كعب) رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة أشد العذاب للهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه فالواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وقال صلى الله عليه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه الى دبر يوم القيامة وينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل الى المغتاب لانه اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها الى المغتاب تقبل توبته أما اذا بلغته فلا يرتفع عنه الاثم بالتوبة مالم يجعله في حل وكذلك اذا زنى بامرأة لها زوج فبلغها الخبر لا يرتفع بالتوبة مالم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم

﴿الباب الحادي والعشرون في بيان الزكاة﴾

قال الله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يعني يؤدون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره أي ويوسع جسمه لها كلها وان كثرت كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأدنينكم ولا باعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسري به على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد (وحكي) ان جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه قال محمد بن يوسف الغريابي فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره واذا صوت من قبره يقول آه أفردوني وحيدا أقاسي العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لانظر ما حاله واذا القبر يلتهب عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الاخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج الي يديه فاذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وأخوك عجل له العذاب في قبره الى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قضية الرجل وقلنا له يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك فقال أولئك لا شك انهم في النار وانما يرى ذلك في أهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصارى ومانع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ومن أدى الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة

(الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا)

قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون أي عن الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس

والنظر كما جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال اليدان تزنيان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم الآية قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة قال الله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما يعني عقابا في النار ويقال واد في النار ويقال جب في النار اذا فتح فمه صاح أهل جهنم من خبث رائحته وروى عن بعض الصحابة أنه قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق وقطع الاجل وسواد الوجه وأما التي في الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار وروى ان موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زنى قال الله تعالى ألبسه درعا من النار ولو وضع على جبل شاهق لأصبح رمادا وورد ان امرأة فاجرة أحب الى ابليس من ألف فاجر وفي المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان وفي كتاب الاقناع قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل في رحم من لا تحل له واللواط أشد من الزنا ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لاط لا يجد رائحة الجنة وان رائحتها توجد من مسيرة خمسمائة عام (وحكي) ان عبد الله بن عمر كان جالسا على باب داره فرأى غلاما جميلا فدخل عبد الله هاربا وأغلق بابه فلما مكث ساعة قال هل ذهبت هذه الفتنة أم لا فقالوا ذهبت فخرج من الدار فقيل له يا عبد الله ما فعل هذا في نفسك أسمعت فيه شيأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر اليهم حرام والكلام معهم حرام ومجالستهم حرام قال القاضي الامام رحمه الله سمعت بعض المشايخ يقول ان مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا وروى من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى في النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى بالبكر فكأنما زنى بسبعين ألف ثيب (وفي رونق التفاسير) قال الكلبي ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله فتصور لهم في صورة غلام أمرد جميل ثم دعاهم الى نفسه ففعلوه فصار ذلك عادة لهم في كل غريب فأرسل اليهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله وتوعدهم على اصرارهم على المعصية بعذاب الله فقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فسأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رميت به وهو معنى قوله مسومة عند ربك أي معلمة أي عليها علامة في خزائن الله أو في حكمه (وحكي) ان رجلا تاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيبه في الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن لا يلتفت خلفه الا امرأة لوط فانها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها الحجر فوقع على رأسها فقتلها قال مجاهد لما أصبحوا اخذ جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف

﴿الباب الثالث والعشرون فى صلة الرحم وحقوق الوالدين﴾

قال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أى واتقوا الارحام أن تقطعوها * وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أجدر أى أحق أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم والشيخان لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعنى قاطع رحم وأحمد بسند رواته ثقات ان أعمال بنى آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم والبيهقى انه أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل أى ازاره خيلاء ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر الحديث وابن حبان وغيره ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وأحمد مختصرا وابن أبى الدنيا والبيهقى يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها جعفر والطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين والاصبهانى كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يجد السنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالته فقد كان بينهما بعض الشئ فاستغفرها فاستغفرت له ثم عاد الى المجلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وهذا مؤيد لما روى ان أبا هريرة رضى الله عنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا فقام شاب الى عمة له قد صارمها منذ سنين فصالحها فسألته عن السبب فذكره لها فقالت ارجع واسأله لم ذاك فرجع فسأله فقال لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى بسند صحيح عن الاعمش قال كان ابن مسعود رضى الله عنه جالسا بعد الصبح فى حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد

أن ندعو بناوأن أبواب السماء مرتجة أي بضم ففتح والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم والشيخان الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واعترض تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصله قال البخاري خطأ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أي قطعته وأحمد باسناد صحيح ان من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة وأحمد باسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه ان الرحم شجنة من الرحمن تقول يارب اني قطعت يارب اني أسيء الي ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك والشجنة بكسر أوله اللحم وضمه واسكان الجيم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ومعنى من الرحمن أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار باسناد حسن الرحم شجنة معلقة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم واني شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته الجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل أي الحديدة المعقفة التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع والبزار ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك فلا أقطع والامانة تقول اللهم اني بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم اني بك فلا أكفر والبزار واللفظ له والبيهقي الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيأ وأخرج الشيخان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت * وأخرجا أيضا من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ أي يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز له في أثره أي أجله فليصل رحمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه رواه البخاري والترمذي ولفظه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الاثر أي بها الزيادة في العمر وعبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند والبزار باسناد جيد والحاكم من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه والبزار باسناد لا بأس به والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال مكتوب في التوراة من أحب أن يزاد في عمره وفي رزقه فليصل رحمه وأبو يعلى ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور وأبو يعلى باسناد جيد عن رجل من خثعم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم قال قلت يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يارسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قلت يارسول الله أي الاعمال أبغض الى الله قال الاشراك بالله قلت يارسول الله ثم مه قال قطيعة الرحم قلت يارسول الله ثم مه قال ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخاري ومسلم واللفظ له عرض اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يارسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة وبما يباعدني من النار فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ثم قال لقد وفق هذا أو لقد هدي قال كيف قلت فاعاد ها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله

لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفي رواية وتصل ذا رحمك فلما أدبر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة والطبراني باسناد حسن ان الله
ليعمر بالقوم الديار وينمي لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذلك يارسول الله
قال بصلتهم أرحامهم وأحمد بسند رواته ثقات الا أن فيه انقطاعا انه من أعطى الرفق فقد أعطى حظه
من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزدن في الاعمار وأبو
الشيخ وابن حبان والبيهقي يارسول الله من خير الناس قال أتقاهم لربه وأوصلهم للرحم وآمرهم
بالمعروف وأنهاهم عن المنكر والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر رضي الله عنه
قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وان أنظر الى
من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن أصل رحمي وان أدبرت وأوصاني أن لا
أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وان كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة
الا بالله فانها كنوز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضي الله عنها انها أعتقت وليدة لها
ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله اني
أعتقت وليدتي قال أوفعلت فقالت نعم قال اما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك وابن حبان
والحاكم أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من
أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها والبخاري وغيره ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل
الذي اذا قطعت رحمه وصلها والترمذي وقال حسن لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان
ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا أن لا تظلموا والامعة بكسر
ففتح وتشديد فهملة هو الذي لا رأي له فهو يتبع كل واحد على رأيه ومسلم يارسول الله ان لي قرابة
أصل ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيؤن الي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال ان كنت كما قلت
فكأنما تسفهم المل أي بفتح وتشديد الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك
والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم
الكاشح أي الذي يضمر عداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
وتصل من قطعك والبزار والطبراني والحاكم وصححه واعترض بأن فيه واهيا ثلاث من كن فيه حاسبه الله
حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يارسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو
عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك دخلت الجنة وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة بن عامر رضي
الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الاعمال
فقال ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم ألا ومن أراد أن يمد في عمره
ويبسط في رزقه فليصل رحمه والطبراني بسند حسن وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عن ظلمك والطبراني ان أفضل الفضائل أن تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عن شتمك والبزار ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات وفي
رواية للطبراني ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يارسول الله قال تحلم على
من جهل عليك وتعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر
وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم والطبراني ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه

العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وان أعجل البر ثوابا الصلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا

﴿الباب الرابع والعشرون فى بر الوالدين﴾

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله ومسلم وغيره لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومسلم أقبل رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الاجر من الله تعالى قال فهل من والديك أحد حى قال نعم بل كلاهما حى قال فتبتغى الاجر من الله قال نعم قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبرانى بسند جيد أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد قال أمى قال فاسأل الله فى برها فاذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد والطبرانى يا رسول الله انى أريد الجهاد فى سبيل الله قال امك حية قال نعم قال صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة وابن ماجه يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وابن ماجه والنسائى واللفظ له والحاكم وصححه يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها فان الجنة عند رجليها وفى رواية صحيحة ألك والدان قال نعم قال الزمهما فان الجنة تحت أرجلهما والترمذى وصححه عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال ان لى امرأة وان أمى تأمرنى بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه وابن حبان فى صحيحه ان رجلا أتى أبا الدرداء فقال ان أبى لم يزل بى حتى زوجنى وانه الآن يأمرنى بطلاقها قال ما أنا بالذى آمرك أن تعق والديك ولا بالذى آمرك أن تطلق زوجتك غير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك ان شئت أودع قال وأحسبه قال فطلقها وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان تحتى امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها وأحمد بسند صحيح من سره أن يمد له فى عمره ويزاد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم من بر والديه طوبى له زاد الله فى عمره وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وفى رواية للترمذى وقال حسن غريب لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر والحاكم وصححه عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض والطبرانى باسناد حسن بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم ومسلم رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه أى لصق بالرغام وهو التراب من الذل قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أولا يدخلانه الجنة والطبرانى بأسانيد أحدها حسن صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من

أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه ابن حبان في صحيحه الا أنه قال فيه ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت آمين وأحمد من طرق أحدها حسن من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد في رواية وأسحقه والشيخان يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدمت علي أمي وهي راغبة أي عن الاسلام أو فيما عندي أفأصل أمي قال نعم صلي أمك وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم رضا الله في رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين أو قال الوالدين وفي رواية للطبراني طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبزار رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وأبو داود وابن ماجه يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة قال الرجل ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه قال فاعمل به ومسلم ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيه رجل من الاعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار فقلنا أصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر ان أبا هذا كان ودودا لعمر بن الخطاب وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة رضي الله عنه قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لم أتيتك قلت لا قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل اخوان أبيه بعده وانه كان بين أبي عمر وبين أبيك اخاء وود فأحببت أن أصل ذلك وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور برواياته المتعددة ان ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهليهم فأخذهم المطر حتى أووا الى غار في الجبل فانحدرت على فم غارهم فسدته فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم وفي رواية فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفا الاثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة

ففرجت شيأ لا يستطيعون الخروج وفي رواية ولي صبية صغار كنت أرعى فاذا رجعت عليهم حلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وانه نأى بي طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تفيته لمال أجير فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يمشون

﴿الباب الخامس والعشرون في الزكاة والبخل﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة سماهم المشركين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال (وسئل) الحسن رضي الله عنه عن البخل قال هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفا وما أمسك شرفا وأصل البخل حب المال وطول الامل وخوف الفقر وحب الولد ففي الحديث الولد مجبنة مبخلة ومن الناس من لا يسمح بادا فرض زكاة ماله ولا بالاحسان الى نفسه وعياله وانما الذنب ورغبته في رؤية دنانيره وكونها في قبضته وهو مالم أن يموت وفي مثله يقول الشاعر

أأخي ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

﴿وقال آخر﴾

البخل داء دوي لا يليق بذي * مروءة لا ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن وفر وعن جدة * فقد لعمري أضحى وهو مغبون
يا بؤس من منع الدارين حقهما * فباع دنياه بعد الدين بالدون

﴿وقال آخر﴾

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا وليجبر به حال معدم
فمقياه ان تختازه كف وارث * والباخل المورث حقي التندم

وقال بشر لقاء البخيل كرب والنظر اليه يقسى القلب، وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن وقال الشاعر

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

﴿وقال آخر﴾

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليل
وانى رأيت البخل يزرى باهله * فاكرمت نفسى أن يقال بخيل

وكفى بالبخيل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينال لذة وفره وخيره وفى مثله يقول وكيع

لئيم لا يزال يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

وفى الحكم المنثورة بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة ولقى يحيى عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس أخبرنى بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الىّ المؤمن البخيل وأبغض الناس الى الفاسق السخى قال له لماذا قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى أتخوف أن يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما أخبرتك

﴿الباب السادس والعشرون فى طول الامل﴾

قال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى وان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم أنا زعيم لثلاثة بثلاثة لمن كف على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى بعده وشغل لا فراغ منه وهم لا فرج معه وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه أشرف على أهل حمص فقال ألا تستحيون تبنون مالا تسكنون وتأملون مالا تدركون وتجمعون مالا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا قال على بن أبى طالب لعمر رضى الله عنهما اذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك واخصف نعلك وأقصر أملك وكل دون الشبع (وأوصى) آدم ابنه شيثا عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده أو لهما قال له قل لا ولادك لا تطمئنوا للدنيا فانى اطمأننت بالجنة الباقية فأخرجنى الله منها والثانى قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فانى عملت بهوى امرأتى وأكلت من الشجرة فلحقتنى الندامة والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فانى لو نظرت عاقبة الامر لم يصبنى ما أصابنى والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشئ فاجتنبوه فانى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم أرجع فلحقتنى الندامة والخامس استشيروا فانى الامور فانى لو شاورت الملائكة لم يصبنى ما أصابنى وقال مجاهد قال لى عبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لا تدرى ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الامل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا نستحى من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء

ولكن الحياء من الله تعالى ان تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل وروى عن أم المنذر انها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وعن أبي سعيد الخدري قال اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج بريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويتخطاه الاجل دون الامل (وقيل) بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم ارددعليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي

﴿الباب السابع والعشرون في ملازمة الطاعة وترك الحرام﴾

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد في قول الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا هو ان يعمل العبد بطاعة الله تعالى واعلم ان أصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء في الله والمراقبة لله فاذا تجرد العبد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لانه لا تصح الطاعة لله الا بعد العلم به والايمان بوجوده خالقا لما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال اعرابي لمحمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في القضيات ذلك الله لا اله الا هو رب الارض والسموات فقال الاعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالاته (سئل) بعض العارفين عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا (روى) أن كعب الاحبار قال لو أن بني آدم بلغوا من اليقين مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشوا على الماء والريح اه فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته ايمانا كما جعل اقرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا قال محمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ✻ علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
ومامنهما الا له فيه نعمة * تضيق لها الاوهام والبر والبحر

واذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية واذا تقرر الايمان فى القلب وجبت الطاعة للرب والايمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منازل القرب متفاوتون فى درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبة فى الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه فأما الاخلاص فأن لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطاعة رجاء للثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الاخلاص فانه لنفسه سعى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وانما تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدمه من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمرنا بها لترتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد اليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والاسباب تحت حكم الخالق المدبر لا يركنون لآبائهم ولا أبنائهم ولا أموالهم ولا صنائعهم بل صرفوا بهديه جميع الامور اليه ولم يعتمدوا فى حال من الاحوال الا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى به المقدور قال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم ومن كلام الحكماء رب مسرة هى الداء ومرض هو الشفاء كما قال

لكم نعمة مطوية * لكم بين أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان دهرك فالامور لها عواقب
ولكل كرب فرجة * ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم (واعلم) انه لن يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا وفى بعض الحكم ابلغ المواعظ ما يحجبها عن القلب حاجب وهذا ما يجب اتقاءه عوارض الدنيا ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال أبو الوليد الباجى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان المرء عند ماله وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر فى ثلاثة فى النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكر فقد طال وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة فى أحوالها وترك التمنى بلذاتها فان الفكرة تبعث الارادة لتعلق النفس بالفكرة (وليحذر) من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب قال عليه الصلاة والسلام النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجد طعمه فى قلبه ومن

كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث فى سقر احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك فى مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما وربما قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة وقال محمد ابن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوى العقول أن ينظر الى كل ما يشتهيه (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له ياخرب العقل والقلب و ياخرب الطرف أما تستحى من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الافعال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل المخامر الذى أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضى الارجانى

عتعتما ياناظرى بنظرة * فاوردتما قلبى أشر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدها صرعة فمن اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمله ومن أتبع جوارحه نفسه فى نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

اذا ما صفت نفس المريد لطاعة * ولما تشبها للعاصى شوائب
وأتبعها فعل الجوارح كلها * فتلك عليه أنعم ومواهب
تلقته فى دار الخلود كرامة * اذا جب للعاصى سنام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالحسنات زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله وروى عن أبى الدرداء انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أوصنى قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزقا يوم ليوم وعد نفسك من الموتى (وليحذر) من الاعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط للاعمال فان المعجب بعمله ممن على ربه وما يدريه أقبل منه أم رد عليه ربه معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وليحذر أيضا) من الرياء قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كالرياء ونهار فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيآت وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية قال ويل لاهل الرياء وقيل أيضا فى قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى لا يظهر هما رياء ولا يخفيها حياء روى عن ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمس الادنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غدا يأتى وأنت فقيد

﴿وقال غيره﴾

تجهل الذنب عما تشتهى * وتأمل التوبة فى قابل
والموت يأتى بعد ذا غفلة * ماذاك فعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات وفى بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال

عليك بالصبر ان نابتك نائبة * من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت الدنيا بزينتها * فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسرا فيهما أبدا * تلق الذى ترتجيه غير ممتنع

﴿وقال آخر﴾

الصبر مفتاح ما يرجى * ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالى * فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

﴿وقال آخر﴾

الصبر أوثق عروة الايمان * وبجنة من نزغة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة * والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان مذلة * وكذاك فينا عادة الازمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا * ان التصبر زائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها بكمالها فى أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الأصحاب والجار وصبر على الامراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصى وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

﴿الباب الثامن والعشرون فى بيان ذكر الموت﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه تفصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب النجافى عن دار الغرور ويقتضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعوا الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراسانى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر هاذم اللذات قالوا وما هاذم اللذات قال الموت

كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث في سقر احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك في مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما وربما قص أحدهما فنهض بالآخر على نعب ومشقة وقال محمد ابن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوى العقول أن ينظر الى كل ما يشتهيه (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له ياخرب العقل والقلب وياخرب الطرف أما تستحى من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الافعال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل الخاطر الذى أقت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضى الارجانى

تمتعتما ياناظرى بنظرة * فاوردتما قلبى أشر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدها مسارعة فمن اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمله ومن أتبع جوارحه نفسه فى نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

اذا ما صفت نفس المرء لطاعة * ولما تشبها للعاصى شوائب
وأتبعها فعل الجوارح كلها * فتلك عليه أنعم ومواهب
تلقته فى دار الخلود كرامة * اذا جب للعاصى سنام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالسنة زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله وروى عن أبى الدرداء انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أوصنى قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى (وليحذر) من الاعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط للاعمال فان المعجب بعمله عمن على ربه وما يدريه أقبل منه أم رد عليه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وليحذر أيضا) من الرياء قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيآت وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية قال ويل لاهل الرياء وقيل أيضا فى قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى لا يظهر هما رياء ولا يخفيها حياء روى عن ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمسك الادنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير من نفسك الى غد * لعل غدا يأتى وأنت فقيد

﴿وقال غيره﴾

تعجل الذنب عما تشتهي * وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة * ماذا ترى فعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات وفي بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال

عليك بالصبر ان نابتك نائبة * من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت الدنيا بزينتها * فالصبر عنها دليل الخير والورع
جاهد النفس قسرا فيهما أبدا * تلق الذي ترتجيه غير ممتنع

﴿وقال آخر﴾

الصبر مفتاح مايرجى * ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
ورعا نيل باضطرار * ماقيل هيهات لا يكون

﴿وقال آخر﴾

الصبر أوثق عروة الايمان * وجنة من نزغة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة * والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان مهلة * وكذاك فينا عادة الازمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا * ان التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها بكمالها في أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الاصحاب والجار وصبر على الامراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصي وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

﴿الباب الثامن والعشرون في بيان ذكر الموت﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات يعني فعليكم بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما تعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب النجافي عن دار الغرور ويقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعوا الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا بالالم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت

وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا وما كان أكثر ذكره له قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني الى ربي سلا (وكتب) بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيآن قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فاغما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها ان امرأة اشتكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لام هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (قال أبو موسى التميمي) توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضي الله عنه فقال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

أضاف وراء القبر ان لم تعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها * قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبونك لأخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة * يفضى الى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بهامة قلب * فى حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * فى شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول

أتيت القبور فنادیتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

﴿وجد مكتوب على قبر﴾

تناجيك أجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

﴿وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب﴾

يمر أقاربى جنبات قبرى * كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى * وما يألون ان جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ما نسونى

﴿وجد على قبر مكتوبا﴾

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا فى القصر منغمسا * وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغربته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به * عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

﴿وجد على قبر مكتوبا﴾

وقفت على الاحبة حين صمتت * قبورهم كأفراس الرهان
فلم أر كالتبكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

﴿وجد على قبر طبيب مكتوبا﴾

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار لقمان الى رمسه

فأين من يوصف من طينه * وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

﴿ووجد على قبر آخر مكتوبا﴾

يا أيها الناس كان لي أمل * قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل * أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل إلى مثله سينتقل

﴿الباب التاسع والعشرون في ذكر السموات والأجناس المختلفة﴾

روى أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوفه فصارت ماء ثم نظر إليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد إلى يوم القيامة وذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها مترا كما على بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيها فشقق بين أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ثم استوى إلى السماء وهي دخان قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متماسكا الأجزاء يستقر منها والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ثم نظر تعالى إلى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء في الحديث ﴿فائدة﴾ بين سماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك وقيل إن السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن وإنما اخضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء رقيعة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماعون والثالثة من نحاس يقال لها ملكوت أو هاربون والرابعة من فضة بيضاء يكاد نورها يخطف الأبصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور له أربعة أركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر وورد أن البيت المعمور من العتيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة والمعتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها وأفضل طبقات الأرض أعلاها لما ذكر ولأنه محل انتفاع العالم (وعن ابن عباس) أفضل السموات هي التي يلي سقفها عرش الرحمن وهي الكرسي لقربها من العرش ولأن جميع النجوم المنتفع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هي مثبتة في السموات السبع فزحل في السابعة وهو يوم السبت والمشتري في السادة وهو يوم الخميس والمريخ في الخامسة وهو يوم الثلاثاء والشمس في الرابعة وهو يوم الأحد والزهرة في الثالثة وهي يوم الجمعة وعطارد في الثانية وهو يوم الأربعاء والقمر في الأولى وهو يوم الاثنين (نكتة لطيفة) من عجيب صنع الباري تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والأشجار المختلفة اللون والطعم كما قال تعالى ونفضل بعضها على بعض في الأكل وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن

والكافر والعالم والجاهل مع ان الاصل آدم فسبحان من أتقن كل شئ خلقه

﴿الباب الثلاثون في بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين والارزاق والتوكل﴾

قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف روى عن علي كرم الله وجهه ان الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه الا الله تعالى وفي الخبر ما السموات والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وأخرج ابن ماجه أن السموات في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش (وعن عكرمة) قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزأ من نور الستور يعني بها الحجب وورد ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم والعرش جسم نوراني علوي فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحسن البصري قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والاولى الامساك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الاعلى وفلك الافلاك والفلك الاطلس أي الخالي من الكواكب اذ كلها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت في الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف المخلوقات فلا شئ يخرج عن دائرته فهو منتهى علم العباد لا مجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقه قال الله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصفه بالعظم لانه أعظم المخلوقات وقد تحقق صلى الله عليه وسلم بالتوكل كما أمر ولذا سمي في التوراة وغيرها بالمتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو صلى الله عليه سيد الموحدين ورأس العارفين ولا ينافي التوكل الاخذ في الاسباب كما قد يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له صلى الله عليه وسلم اعرابي أعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أي جياعا وتروح بطانا أي شباعا فأشار بقوله تغدو الى التسبب (حكاية) التقى ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له ابراهيم ما بدء أمرك الذي بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسورا الجناحين في فلاة من الارض فقلت انظر من أين يرزق هذا فقعدت بجذائه فاذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جراد فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسي ان الذي قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار فأخذ شقيق يبد ابراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد أن لا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوعاء في يده ولا ينظر اليه وانما ينظر الى الذين يعطونه وفي الحديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه (وقد قيل) لحذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل

معنى وكتب

أناحامد أناشاكر أناذاكر * أناجائع أناضائع أناعارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها ياباري
مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فاجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال مافعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصرانى جئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لاتمسها فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم ﴿فائدة﴾ قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من فى السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الخلق فقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال قولوا لاحول ولاقوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم فى الارض السابعة على متن الريح فلما لم تستقر أقدامهم على شئ تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لاحول ولاقوة الا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة وروى من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا وفى رواية كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته ودنياه

﴿الباب الحادى والثلاثون فى ترك الدنيا وذمها﴾

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بعاء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وماسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يارسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا تتخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها تصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت لهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا اكنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين اني قد كسبت لكم الدنيا على وجهها فلا تنغصوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عصي الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها (وروى) ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فان ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كاملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت ثيابهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لاحد ولا يدوم لك أحد وان جل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطاعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضمائرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى أمامهم

والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم مايرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لادنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي ياشيء انى لم أرضك لهم في الدنيا أأرضك لهم اليوم وروى في أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفيني خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فدعاها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لازقنك يوم القيامة مائة حورا خلقتها بيدي ولا طعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتحسره ويأمنها ويثق بها وتخدله وويل للمغترين كيف أترتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطيئة عمله كيف يفتضح غدا بذنبه (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فسئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة

فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ
قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات
الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا
فتهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها
موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك
لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم
يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما
حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا
أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا
وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم مجلجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد
قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم
فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لا كل خبز الشعير بالملح
الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه
وسلم انه حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج
البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقال لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال
ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى (وقال أبو الدرداء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما نبت عليكم الدنيا ولا ترتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو
تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا
راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم
وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة فيما في عاقبته مالكم لا تحاضون
ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر
لتحاببتم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه
ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخسر الآخرة وشرها كما
توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لامركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانظروا كم تدعون
العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه
فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك فما بال محمد صلى
الله عليه وسلم فاتونا نتبين لكم ولنر يكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم
فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تقرءون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم

وتسمونها المصائب وتعيبون فيها المآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا تتغير حالكم اني لارى الله قد تبرأ منكم يلقي بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل قد نبتت مراعيكم على الامل وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لرأيتموني فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم (وقال عيسى) عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا التبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل اعيانكم كما تأكل النار الحطب (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال علي رضي الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال الحسن) رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره (وقال لقمان عليه السلام) لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وقال بعض الحكماء) انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يجهد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما أن تنقص (وقال سفيان) أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لم يعط منها شيئا الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لم يعط منها شيئا الا أراد أكثر

وليس

وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها (وقال يحيى بن معاذ) الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى (وقال أبو حازم) اياكم والدنيا فانه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما احتقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

﴿وقيل أيضا في ذلك﴾

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

﴿وقيل أيضا في ذلك﴾

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل في * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا (وقال مطرف بن الشخير) لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفي ذلك قيل

يا خاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفي ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

﴿وقيل أيضا﴾

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفي القرون التي كانت منعمة * كم الجديدين اقبالا وادبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء له * يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لكن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب وفى متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال وحلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى (وقال الحسن) والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل أتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره (وقال الفضيل) لو أن الدنيا جذافير هما عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقيل) لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا البدن وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غشية الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها (وقال سعيد بن مسعود) اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو ابن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا فاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه (وكتب الحسن) الى عمر بن

عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (وقال الفضيل بن عياض) الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة تولد ولدا وتهلك هالكا فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فتردده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوف تبعد عملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك (وقال الحسن) لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه (وقيل لبعض العباد) قد ذلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يسلك فاذا نفد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا مسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر رأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن مثالبس هكذا الدنيا عظيمة عند مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها (وقال الجنيد) كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي ان الدنيا دار حض منزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها عسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله

وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فى زائل وجدارمائل أكثر من عملك وأقصر من أملك (وقال ابراهيم بن أدهم لرجل) أدرهم فى المنام أحب اليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة وعن اسمعيل ابن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحبن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن (وقال بندار) اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيران الهموم حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته نيران الهموم فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

﴿الباب الثانى والثلاثون فى ذم الدنيا أيضا﴾

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى وماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتنابع أنينك وثبت يقينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك ونطق لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك (وقال بعضهم) لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه

بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذ أبكت عليه وبيناهي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (وكتب) الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها فهي في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بحظابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتأله وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرو حرص نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه الضار في أهلها غار والنافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها أذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها للاعداء اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الارض أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الارض أحد أغنى مني (وقال وهب بن منبه) لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا بد وعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يجتنكما ما تتمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عنها أو تتمالغلبت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي

الشفيق غفله عن مراتع الهلكة واني لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا اغايتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تثبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وشعارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة وخطب علي كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذاهم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى من كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجمع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صار واليه من البلا والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد (وقال بعض الحكماء) الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجدطم لذاتها وانها لأمر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف ليصورها بظاهر أنعاتها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم ارشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقد ربقائها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته

وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر ابن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى فما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تدفعون لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه خالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا بمؤسها رضراضها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بتاعها ونعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وانها عنده حقيرة ذليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فحربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تبعوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

(الباب الثالث والثلاثون في فضل القناعة)

اعلم أنه ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوئ الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحي اليه أتيناه يعلمنا ما أوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان وان كان له الثاني لاحب أن يكون له ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت رحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل

وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة الآدمي ممثلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد فقير ولا غنى الا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة وروى ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أى عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصارى أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظنى وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس عما فى أيدى الناس وقال عوف بن مالك الاشجعى كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا وأليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعنا فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ما نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه وقال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه * واترك هوى النفس تعيش حر
فلرب حتف ساقه * ذهب ويا قوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سمط بن عجلان اغبط بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس عما فى أيدى الناس وروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق (وكتب بعض بنى أمية) الى أبى حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجى الى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت وقيل لبعض الحكماء أى شىء أسر للعاقل وأعانه أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على

ادفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه

﴿وقد قيل أيضا﴾

حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول سعى وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالى
بشرق الارض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم عما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفى ذلك قيل

أرالك تريد الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقى لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدنى

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى يفتح لك بابها

فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذا لالعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب علمه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك

﴿الباب الرابع والثلاثون في فضل الفقراء﴾

قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي موفقين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروي أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له فمم اذا يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال باسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا العبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها

الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء وفى لفظ آخر فقلت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجدود فى حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وفى الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغنى الجنة وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفى الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثانى للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه انى لاحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامى اليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبى ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذى برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعنى الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعنى الاغنياء ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعنى الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعنى ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعنى هذا الشريف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك هوانا عليّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدى الى هذه الصفوف فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا يارسول الله ومادولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى أعلاها فاذا فقراء أمتى وأولادهم ونظرت فى أسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يارب ما شأنهم قال أما النساء فاشتغلن بالاحمرين الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى قال يارسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيات وظننت انى لا أراك

فقلت ولم قال كنت أحاسب عيالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيأ فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بعلوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اتقي يا بنت محمد فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة وروي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهر واعمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حسابا وقال أشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاءه حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صرارا وزرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم ٣ فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد (وقيل) جاء فقير الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا خلقان ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ حبك

للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من محبتهم من علامة المنافقين وفى الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أكون اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بفهومه أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من أحد غنى ولا فقير الا ويوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون لعطائى الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون فهذا فى القانع والراضى وأما الزاهد فسنذكر فضله ان شاء الله تعالى * وأما الآثار فى الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما فى أيدى الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ما من أحد الا وفى عقله نقص وذلك انه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفعه مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئنى به فلما قام جاءه اليه فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم غفت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعاصم بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا

بهذا فقال ألا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد ابن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبو ذر رضي الله عنه يوما جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن ذي قربى وذي رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا المعنى أيضا

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته * أفاديا أم بها يسري فتطرقه
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه بمال فتى يغدو على ثقة * أن الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه

﴿الباب الخامس والثلاثون في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى وفي بيان العرصات﴾

قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك أن لا ينكر عليهم كفرهم وعن عكرمة لا تصطنعوهم والظاهر من الآية عموم النهي عن الركون الى المشركين وفسقة المسلمين وقال النيسابوري في تفسيره قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من أبواب المظالم فاما مداخلتهم لدفع شيء من الضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده اه قلت ولقد صدق فيهم مادة الركون اليهم أولى سيما في هذه الازمان التي لا يمكن فيها انكار المنكر والامر بالمعروف مع ما في الركون اليهم من الغرر والغرور واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فاظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على محبتهم ومنادمتهم ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم

ويبتهج بالتزين بزيهم ويدعينه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو فى الحقيقة من الجنة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بعزل عن ان تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك ان لم يعطك أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرق أصابك من دخانه قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلثا دينه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش وقال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم يعنى فى عرصات القيامة وقد اختلف المفسرون فى تعيين الامام الذى يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره انه كتاب كل انسان الذى فيه عمله ان يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه الآية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعى ابراهيم هاتوا متبعى موسى هاتوا متبعى عيسى هاتوا متبعى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بامامهم الذى كانوا يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وروى الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه وعدله فى جسمه ستين ذراعا بيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه وعدله فى جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وقال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها الى آخر السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما أى تحركت من أسفلها وأخرجت ما فى جوفها من الاموات والدفائن وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بكل عمل عمل على ظهرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهى مخبرة أخرجه الطبرانى

(الباب السادس والثلاثون فى النفخ والفزع والحشر من القابر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فيمضغ قال ما تأمرنا فيه قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وذلك أن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق وادئر رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فيمضغ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الارض أى مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض

روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى
في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى
فاذاهم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث أتى صاحب
الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر في
الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضي عليهم
من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من
المترفهين والاغنياء المتنعمين فاعلم أن الارض في ذلك اليوم أذل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم
يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تجتمع الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة
بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة قد نسيت بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول
النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم
أقبلت الشياطين والمردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله
تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك
ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يحتفي الانسان ورامها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل
هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم
من أقطار الارض اذ ساقهم بالرادفة تتبعها الرادفة والرادفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية
وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي
والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ومعلم أي لابناء يستر ولا تفاوت يرد
البصر ولا تظن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها
وتمد مد الاديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات
تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبيناهم
كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها بحسب سائة عام والملائكة قيام على
حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم
تنهار وتسيل كالفضة المذابة فتخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال
كالعهن وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث
الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم يوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات
كيف وبعضهم يمشون على بطونهم وعلى وجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة

وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم * فى طبع الآدمى انكار كل مالم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لخالقه قياس ما فى الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فاحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عار يا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فانها عظيمة * ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من الملائكة جن وانس وشيطان وحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح وفى حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك لم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر معروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولمسلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته

﴿الباب السابع والثلاثون فى بيان القضاء بين الخلائق﴾

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام

وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك أو أخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيآت من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس أن تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنها ستنجيه فما يزال العبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم ينادي بهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ولا لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان مبادين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر بعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن أنس عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب يتحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا قال لمن أعطاني الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء ونعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تخترق بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى ان هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بزائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فتقتل لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تنشأ لك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بغلاظتها وزعارتها (٣) وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلائق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك المأل العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

﴿الباب الثامن والثلاثون في بيان ذم المال﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع هاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الله هم ورباديدهم الى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عتب عتبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعودوا مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروي أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراد سوأ فقال اللهم من فضل بي سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وأن يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم جعلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحدا الا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما بليس ثم

وضعهما

وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سعيط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ومارقيته قال أخذه من حله و وضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى السلم

﴿وفي ذلك قيل أيضا﴾

لا يغرنك من المرء قميص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك ترك ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالي على ما وقع وروى ان محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي ويروى أن رجلا قال لابي عبد ربه يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فاخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما اللعب في ماله عند موته قيل وما هو ما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

﴿الباب التاسع والثلاثون في الاعمال والميزان وعذاب النار﴾

يا أخي لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادي عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي منادي ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرعون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم من لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيآت أو الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فسقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في

ثلاث مواطن فان أحدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيبه الى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أو ضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط الا كثرتاه معه من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقة في ذراع الدابة يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فهو سالك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فمنهم من في كربها وأهوالها موقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دار ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم فيها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية قبيحات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع ونقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتخطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تعلى بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ويدعون بالثبور وصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به

مافى بطونهم والجلود وهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سواد من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يعشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد بأحداقهم فليهب النار سارفى بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن فى تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا فى أودية جهنم وشعابها فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال على كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو واد الحزن قيل يارسول الله وما وادى أو جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سبعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الاعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن فى عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا تنتهى هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن اكتساب الناس على الدنيا يتفاوت فمن مهمل مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لحم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر فى بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون فى الصيف من حرها وأشد ما تجدونه فى الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من

الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في تنن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون أدعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون أدعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل (وقال أبو أمامة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه

يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيجعون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه في يوم القيامة يتواطأ عليه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في أول القائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستراح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (قال محمد بن كعب) لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضي الله عنه قال لي زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما للنار من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها وشدتها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا

أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هولا وقد فاتهم ما فاتهم وباءوا بما باءوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود الهي لاصبرن على حرشمسك فكيف صبري على حر نارك ولاصبرن على صوت رعدك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار وأهولها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ولعمري الاشارة به الى يوم القيامة بل في أزل الازل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بحقيرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بما ذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ما ذا سوردي والى ما ذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك ببعضها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحبط بل العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

﴿الباب الاربعون في فضل الطاعة﴾

اعلم ان طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس وليتمتعوا في دار النعيم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم لم يخلقوا عبثا بل ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وهو الغني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من ملكه شيأ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغني وأنتم الفقراء يا عجبا أحدنا يشتري الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة ناصحا فيها منقادا لمولاه الذي استولى عليه بالعرض اليسير الفاني وعبقه برزقه واحدة ويغضب عليه ورعا منعه مرتبه أو طرده أو باعه فما لنا لا نطيع مولانا الحقيقي الذي خلقنا وسوانا ونتمرغ في زلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عنا وامداداته التي لولاها لهلكنا وهو قادر على البدل بنا

بمجرد ارتكاب زلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويغفر زلتنا ويستر عورتنا فالعاقل يعرف من هو الاحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه وكلما أذنب تاب والى خالقه أناب ولا ييأس من رحمته ويتحبب اليه بشكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين فيأتيه الموت وهو مشتاق الى مولاه ومولاه أشد شوقا الى لقائه (قال أبو الدرداء) لكعب رضي الله عنهما أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد أني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن حبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وأنسوا بي أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي (وروى) عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحدا ما أريد أن أعطيه (وفي أخبار داود عليه السلام) ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي وانى لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم أدعو نجبائي ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول الي لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي وأباهي بكم أهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي للملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محفيا وجعلت أبدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يارب أرني أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه

فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود انى رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا و بينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفنجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت فاوزعنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا الينا هى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذا أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا فى شئ من خلقك نامن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تبارك وتعاليت أنك تحب أوليائك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب فيما بينى و بينكم حتى تنظروا الى نورى و جلالى فقال داود يا رب بم نالوا هذه منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى و بينه حتى ينظر الى نظر الناظر بعينه الى الشئ وأريه كرامتى فى كل ساعة وأقربه من نور وجهى ان مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذقته طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها اليه لا يفتر عن الاشتغال بى يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظرى من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه وتحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى يا داود لا قعدنه فى الفردوس ولا شفين صدره من النظر الى حتى يرضى وفوق الرضا (وفى أخبار داود أيضا) قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ماضركم اذا استحجبت عن خلقى و رفعت الحجاب فيما بينى و بينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وماضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائى (وفى أخبار داود أيضا) ان الله تعالى أوحى اليه تزعم أنك تحبنى فان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص حبى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه

ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلده حقا على أني أسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وانى قد حلفت على نفسي انى لا أثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاءه كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فانى قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لى الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الى لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطيك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فاسرجوها قوسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أقطع ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما أحبت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم وايالك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه

﴿الباب الحادي والاربعون في الشكر﴾

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال واذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني

أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ماروى أنه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه فسأل الله له أن يجيره من النار فأجاره ثم آه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الى أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه أي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال بن مسعود الشكر نصف الايمان (واعلم) أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمالهم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد ولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك

باللسان وتنصرف

﴿الباب الثانى والاربعون فى بيان ذم الكبر﴾

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر فى القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فقضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم أخرجوا فخرجوا فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسهى ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال ألبس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين ومافيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله فى الكفة الاخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والارضين ومافيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا

فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطأهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطأهم الناس هوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى برده فقلت له يا بلال ان أبا بكر حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فما بالك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مادر جليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل فى وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا انقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سليمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصائد وفخوا وان من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى برديه اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابى هى مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وعن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد القصر وقد علاه جبابه خز قد نشد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى متبخترا ذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شاخ بأنفه نأنى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حمق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤد حق الله منها فى كل عضو من أعضائك نعمة وللشيطان به لعنة والله

أن يمشي أحد طبيعته أو يتخلع تخلع المجنون خير له من هذا فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الى وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه برة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم عجب بشبابك عجب لشمائلك كأن القبر قد واراك بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خزفقال عمر كلا معتذر ياعم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشترتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا (ويروى) أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فقضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا فى هذا المعنى

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفى غد بعد حسن هيئته * يصير فى القبر جيفة قذره

وأنشد خلف الاحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب
أشد لجاجا من الخنفساء * وأزهى اذا مشى من غراب

﴿وقال آخر﴾

قلت للمعجب لما * قال مثلى لا يراجع
ياقريب العهد بالمخـ ـرج لم لا تتواضع

﴿ومثله لذى النون المصرى﴾

أيها الشامخ الذى لا يرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوى الاقدام

وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر والله تعالى أعلم

﴿الباب الثالث والاربعون فى التفكر فى الايام وغيرها﴾

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى فقال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية أى تعاقبهما فى المجىء والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجج النارا

﴿وقول آخر﴾

ان الليالى للانام منازل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل شئ من أمره كان عجبا أتانى مرة فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قيل للاوزاعى ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم ان تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطلعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أدوم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر

الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان أيضا الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب (وقال حاتم) من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر فى الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه (ويروى) أن الله تعالى قال فى بعض كتبه انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جاره قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها الشهوة والثالثة القوة وقوامها الغضب والرابعة العدل وقوامه اعتدال قوى النفس

(الباب الرابع والاربعون فى بيان شدة الموت)

عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال انى أعلم ما يلقى ما صنه عرق الا وبأ لم للموت على حدته وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتى على فراش وقال الاوزاعى بلغنا ان الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسى

يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت ياخليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضى الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديدا الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهى فان دواهى الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورتو جهك لكان حسبه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنعهم منى الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمى باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس فى ملكى على سريرى حولى جنودى وحشمى على سرير ملكى اذ بعث الى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه فيا ليت ما كان من ذلك الجوع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها رب الدار فقال أنا ربها

فقال

فقال أدخلتها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب قد كر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يترا أى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار

الباب الخامس والاربعون في بيان القبر وسؤاله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذا ذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذ اذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا وأنا ثقة حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل اذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذي لا بد له منه (وقال يزيد) الرقاشي بلغني أن الميت اذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليه ما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأ لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى

وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة وثيابا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شىء الا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى وقال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوط وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم قال فيقتهرانه انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وأما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شدادهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيجتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر انى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى فيقال له لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا فيضرب بها جبلا صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارضين ليس الثقلين فقال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن على ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيآته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضرته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجى راضية ومرضيا

عنك الى روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضرأتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ريطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين (وعن محمد بن كعب القرظي) انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال أي شيء تريد وفي أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الانهار قال لا لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أي ليقولنها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال في عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا أن مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فأمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم

﴿الباب السادس والاربعون في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض﴾

قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعني لو تعلمون أمر القيامة باليقين لالهاكم عن ذلك أي عن التكاثر والتفاخر ولفعلتم ما ينفعكم من الخير ولتركتم ما لا ينفعكم ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل ان المال والحساب في الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم أقسم الرب انكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعني لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة التي لا شك فيها فان قيل الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للانبياء بنبوتهم وعين اليقين للملائكة لانهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسي فتكون لهم عين اليقين وان شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للاحياء لانهم يعرفون بأن الاموات في القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للاموات لانهم عاينوا القبور اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار وان شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الابدان والاسماع والابصار والمكاسب وملاذ المأكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها لمولاها وعرفتموه بها أم كفرتم بها (أخرج) ابن أبي

حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يعني عن الطاعات حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك لان الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وعن علي رضي الله عنه قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب من الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسئل عنه وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ناس من أمتي يعتقدون السمن والعسل النقي قيأ كلونه وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وانما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم وروى الترمذي وغيره انه لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوما فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة

﴿الباب السابع والاربعون في فضل ذكر الله تعالى﴾

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني رحمه الله اني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف نعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم

اعلم

أعظم من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال صلى الله عليه
وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع
عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب
الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن
تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم
من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس
ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل
بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ
خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى
الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل فى
ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون
أعناقكم قالوا وما ذاك يارسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال الفضيل بلغنا أن الله
عز وجل قال ياعبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء
ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته
وكنت جليسه وحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بينك وبين نفسك وبين الله عز
وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى أن كل
نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر
أهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى
فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه
الا ناداهم منادمن السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيآتكم حسنات وقال صلى الله عليه وسلم
ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم
حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رأيتنى أجارز مجالس الذاكرين الى مجالس
الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن
المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان أهل السماء ليترائون
بيوت أهل الارض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا
اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون

فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة مارأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فما رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شئ تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله اني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم وقال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

الباب الثامن والاربعون في فضائل الصلوات

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شئ قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت ومعنى يذهبنها يكفرنها حتى كأنها لم تكن وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فانزلت عليه وأقم الصلاة طرفي النهار الآية فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا قال هي لمن عمل بها من أمتي وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما سلم قال أين الرجل قال أنا فاذا قال

أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرفي النهار الآية وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أي قارب أن يخلع عن الايمان بالضلال عروته وسقوط عماده كما يقال ان قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضي الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله بشيء أفضل من سجود خفي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعني بكثرة السجود وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار وروي عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكان يسمونه السجاد وروي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

(الباب التاسع والاربعون في بيان عقوبة تارك الصلاة)

قال تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وأخرج أحمد بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ومسلم بين الرجل وبين الشرك أو

الكفر ترك الصلاة وأبو داود والنسائي ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة والترمذي بين الكفر والايمان ترك الصلاة وابن ماجه بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة وصح كما رواه الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر والطبراني باسناد لا بأس به من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفي رواية بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفي أخرى ليس بين العبد والشرك الا ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك وفي أخرى سندها حسن عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفي أخرى سندها حسن أيضا من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله والطبراني وغيره باسنادين لا بأس بهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيأ وان قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها الحديث والترمذي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيأ من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وصح خبر بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك والبزار لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له والطبراني لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد * وابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وان أحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل لداويك وتدع الصلاة أيما قلت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان والطبراني بسند لا بأس به في المتابعات أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله علمني عملا اذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيأ وان عذبت وحرقت وأطع والديك وان أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله الحديث وفي رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شيأ وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه أي شر بها رأس كل فاحشة واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس وان أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم في الله وابن حبان في صحيحه بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك الصلاة فقد كفر والطبراني عن أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كنت أصب على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوأه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت بالنار ولا تعص والديك وان أمراك أن تخلي من أهلك ودنياك فتخلي ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تترك صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله الحديث (وأبو نعيم) من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار من يدخلها والطبراني والبيهقي من ترك الصلاة فانما وتر أهله وماله والحاكم عن علي " انه صلى الله عليه وسلم قال والله يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم

رجلا فيضرب أعناقكم على الدين الحديث والبزار لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وأحمد سلا أربع فرضهن الله في الاسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيأ حتى يأتي بهن جميعا الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت والاصبهاني من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله عز وجل توبة والطبراني من ترك الصلاة فقد كفر جهارا وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع لا تترك الصلاة متعمدا فانه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال من ترك الصلاة فلا دين له وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبي الدرداء قال لا ايمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وقال ابن أبي شيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر وقال أيوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب قال ابن مسعود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين هو أن لا يصلي الظهر حتى تأتي العصر ولا يصلي العصر الى المغرب ولا يصلي المغرب الى العشاء ولا يصلي العشاء الى الفجر ولا يصلي الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره شديد عقابه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين وهذا قال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان نقصت فقد خاب وخسر وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف قال بعض العلماء وانما حشر معهم هؤلاء لانه ان اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب ابن سعد قال قلت لابي يا أبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو وأينا لا يحدث نفسه قال ليس ذلك انما هو اضاعة الوقت والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سير فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط وابن حبان في صحيحه من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله والحاكم بسند فيه من اختلف في توثيقه والاكثر على عدمه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر والشيخان

والاربعة الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله زاد ابن خزيمة فى صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب الوقت والنسائى من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله يعنى العصر ومسلم والنسائى ان هذه الصلاة يعنى العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد أى النجم وأحمد والبخارى والنسائى من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وأحمد باسناد صحيح وابن أبى شيبة من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تفوته فقد حبط عمله وابن أبى شيبة ٣ سلا من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله وعبد الرزاق لان يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة العصر والطبرانى وأحمد من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله والشافعى والبيهقى من فاتته الصلاة فكأنما أوتر أهله وماله والبخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ماشاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة انه أتانى الليلة آتيان وانهما ابتعثانى وانهما قالا لى انطلق وانى انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل فى المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر أى يشق شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه قال وربما قال أبو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فأحسب انه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أى بفتح المعجمتين وسكون الواوين صياح مع انضمام وفزع قال قلت ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم واذا فى النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر فاه فألقمه حجرا قلت لهما ما هذا ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا مرئيا واذا عنده نار يحشها أى يهيجها مضمومة فمهملة ويوقدها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة أى طويلة النبات من أعتم اذا طال فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهرانى الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ما هذا ما هذا ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالا لى ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر قال واذا النهر معترض يجرى كأن ماءه المحض أى الخالص فى البياض فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما أى ارتفع بصرى صعدا بضعتين الى فوق فاذا قصر مثل الربابة أى السحابة البيضاء قالا لى هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله

فيكما فدراني فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت قالا لي انا سنخبرك أما الرجل الاول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في أنهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فانه ابراهيم عليه السلام وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وفي حديث البزار قال ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة وأخرج الخطيب وابن النجار عن الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها ووقتها وسننها فهو مؤمن وابن ماجه قال الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي وأحمد والحاكم عن علي أن الصلاة عليه حق واجب وأداها دخل الجنة والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك والنسائي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضي به بين الناس في الدماء وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان أتمها كتبت له تامة وان لم يكن أتمها قال للملائكته انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فيكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك والطبراني أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر وابن عساكر أول ما يحاسب به العبد صلاته فان صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدي نافلة فان كانت له أتمها الفريضة ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل للملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شيأ قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم يأخذ الاعمال على ذاكم والطيالسي والطبراني والضياء في المختارة أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد ان الله عز وجل يقول اني افترضت على أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله الجنة ومن لقيني قد انتقص من ذلك شيأ فليس له عندي عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته * والبيهقي للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى * والديلمي الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب في الله والتودد في العلم يقطع دابره فاذا فعلتم ذلك تباعد منكم كما طلع الشمس من مغربها والترمذي وابن حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوي أمركم

تدخلوا جنة ربكم وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي أحب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله في الاسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضي الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما انه لا حظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة وصلى رضي الله عنه وجرحه يجري دمه وروى الذهبي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت الى السماء وهي نور حتى تنتهي الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني واذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وأخرج أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة دبارا أي بعد أن تفوته قال بعضهم وورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في قبره وثلاث عند خروجه من القبر فأما اللواتي في الدنيا فالاولى تنزع البركة من عمره والثانية تعمى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين وأما التي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه وأما التي تصيبه في قبره فالاولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على صلاة العشاء الى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص في الارض سبعين ذراعا فلا يزال في القبر معذبا الى يوم القيامة وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الاول يا مضيع حق الله السطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لان المفصل أربع عشرة فقط فلعل الراوي نسي الخامس عشر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به الى النار فيقول يارب بماذا فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها حلفك بي كاذبا قال بعضهم أيضا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لاصحابه قولوا اللهم لا تجعلنا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقي المحروم قالوا من هو يارسول الله قال تارك الصلاة قال أيضا ويروى انه أتى بما تسود يوم القيامة وجوه تارك الصلاة وان في جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبتها البعير طولها مسيرة

شهرتسع تارك الصلاة فيغلى دمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه قال وروى أيضا أن امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت يانبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي فقال لها موسى وما ذنبك قالت يانبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اخرجي يافاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى أما وجدت شرا منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا وقال أيضا روى عن بعض السلف انه دفن أخت له ماتت فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالها في أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿الباب الخمسون في بيان عرصات جهنم وعذابها﴾

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيآت فكانت موارد ها الابواب السبعة وعن علي رضي الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي وروى الطبراني في الاوسط ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بفتح النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي النار وانعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهيبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الارض كلهم جميعا والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ونتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من

خلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكي فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال ومالي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به هروت وماروت قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نودیا ان يا جبريل و يا محمد ان الله تعالى قد آمنكما أن تعصيا فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون وورائكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقنط عبادي انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها

﴿الباب الحادي والخمسون في بيان عذاب جهنم أيضا﴾

روى أبو داود والنسائي والترمذي وصححه واللفظ له لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال انظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فجاءها ونظر اليها والى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره فقال ارجع اليها فانظر الى ما أعددت لأهلها فيها فرجع اليها فاذا هي قد حفت بالمكاره فرجع اليه وقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد فقال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فنظر اليها فاذا هي يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها والبيهقي بسند لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر قال أما اني لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن وأحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والترمذي ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال أعد للقراء المرائين بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة والطبراني ان في جهنم لوادي يستعيذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وابن أبي الدنيا ان في النار سبعين ألف وادي في كل وادي سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف جحر في كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار والبخاري في تاريخه بسند فيه نكارة ان في جهنم سبعين ألف وادي في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون ألف ثعبان في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر

أو المنافق حتى يواقع ذلك كله والترمذي بسند فيه انقطاع ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين خريفا وما تنتهي الى قرارها وكان عمر رضي الله عنه يقول أكثر واذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي لو أن حجرا قذف به في جهنم لهوى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الصوت يا جبريل فقال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله تعالى أن يسمعك صوتها فما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا كاملا فيه حتى قبضه الله عز وجل وأحمد والترمذي وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وأحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رمادا (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن أبي الدنيا ان الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا والحاكم وصححه ان الارض السبع بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية محجن الريح فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال له الجبار تبارك وتعالى اذن تكفئ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه العزيز ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم قالوا يا رسول الله أللنار كبريت قال نعم والذي نفسي بيده ان فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت والخامسة فيها حيات جهنم ان أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيه عقارب جهنم ان أدنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة فيها ابليس مصفد بالحديد أمامه ويد خلفه فاذا أراد الله أن يطلقه لمن شاء من عباده أطلقه وأحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ان في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا وان في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة والترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقط فروة وجهه فيه * والترمذي وقال حسن غريب صحيح ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والحميم الماء الحار الذي يحرق وقال الضحاك الحميم يغلى منذ خلق الله السموات والارض الى يوم يستقونه ويصب على رؤسهم وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيستقونه وقيل غير ذلك وهو المذكور في قوله تبارك وتعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وأحمد والترمذي وقال غريب والحاكم وقال صحيح

على شرط مسلم عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال جل ذكره وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا والغساق هو المذكور في قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وقوله تعالى الا حميما وغساقا واختلف فيه فعند ابن عباس رضي الله عنهما هو ما يسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها حية كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المرء ثوبه والترمذي وقال حسن صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وفي رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وطعاما ذا غصة شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والشيخان ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد وأحد ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء أي وهو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أي ثمانية أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار أي ملك باليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره وقيل ملك بالعجم ومسلم ضرس أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث والترمذي ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث من الربذة أي كما بين المدينة والربذة وأحمد بسند جيد ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة وفي رواية ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وأحمد والطبراني واسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذري والترمذي عن الفضيل بن يزيد ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس والفضل ابن يزيد عن أبي الجلاس ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس أخرجه البيهقي وغيره وهو الصواب قال النبي صلى الله عليه وسلم يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه عن مجاهد قال ابن عباس أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدري اما بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجري فيه أودية القيح والدم قلت أنهارا قال لا بل أودية

﴿الباب الثاني والخمسون في بيان فضل الخوف من الذنب﴾

اعلم ان أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿جاء﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن

وهب بن الورد قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر عن المعصية ويبعدان العبد من لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهبا يخشى أن لا يخرج لعظم الذنب في نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما لذتم أو لصعدتم الى الصعدات أي الجبال تجأرون الى الله تعالى خوفا من عظيم سطوته وشدة انتقامه وفي رواية لا تدرون تنجون أو لا تنجون وقال بكر بن عبد الله المزني من أتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وفي الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار وفي الصحيحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيأ يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيأ وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه رواه أحمد وقيل للحسن البصري يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة قوم يحدثوننا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير فقال له انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تطفل الخاوف ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدي على الارض لا أم لك وويلي وأي ويلي ان لم يرحمني وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله لك الفتوح ومصر لك الامصار وفعل لك وفعل قال وددت أن أنجو لا علي ولا لي وفي رواية لا أجر ولا وزر وكان زين العابدين بن علي ابن الحسن رضي الله عنهم اذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فيقال له في ذلك فيقول ويحكم أتدرون الى من أقوم ولمن أريد أن أناجي وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما اشتهيه وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رجلا ذكر الله أي وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه أي خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت في جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج أي لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لان أدمع دمعة من خشية الله أحب الي من أن أتصدق بألف دينار وقال عون ابن عبد الله بلغني أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله شيئا من جسده الا حرم الله ذلك المكان على النار وكان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء أي فوران وغليان

كغليان القدر على النار وقال الكندى البكاء من خشية الله تطفئ الدمعة منه أمثال البحار من النار وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها قولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون وهم أعمال غير ما نحن عاملون وعن سفيان الثورى قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصنى قال يا سفيان لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولا اخاء لملول ولا سؤدد لسيئ الخلق قلت يا ابن رسول الله زدنى قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أى للحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ويشاور فى أمره الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله زدنى قال يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدنى قال أدبنى أبى بثلاث قال لى أى بنى ان من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله تعالى قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى وقال الامام أبو الفرج بن الجوزى الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة وهكذا لا يكون الخوف الا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والاعمال الفاضلة التى يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والاخبار كقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وقوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكل ما دل من الآيات والاحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وأخرج ابن أبى الدنيا أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جسد العبد من خشية الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين ان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال أبو سليمان الدارانى كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

الباب الثالث والخمسون فى بيان فضل التوبة

جاء فى فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا (والاحاديث فى ذلك كثيرة) أخرج مسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها والترمذى وصححه ان من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصحح أيضا ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية قيل وليس فى هذه الرواية ولا الاولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقى انتهى ويجاب بان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فله حكم

المرفوع والطبراني بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه وابن ماجه بسند جيد لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم والحاكم وصححه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون والشيخان ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب اني أذنبت ذنبا فاغفر لي فقال له ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب اني أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب اني أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي فليعمل ماشاء قال المنذري قوله فليعمل ماشاء معناه والله أعلم أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليعمل اذا كان هذا دأبه ماشاء لانه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أن المعنى أنه يذنب الذنب فيستغفره بلسانه من شر اقلاع ثم يعاوده فان هذه توبة الكذابين وروى جماعة وصححوه ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل منها وان زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والترمذي وحسنه ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر أي تبلغ روحه حلقومه والطبراني بسند حسن لكن فيه انقطاع والبيهقي بسند مجهول عن معاذ قال أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشى ميلا ثم قال يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصي اماما عادلا وأن تفسد في الارض يامعاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والاصفهاني اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب * والاصفهاني أيضا الندم يستظر من الله الرحمة والعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله ان كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وانما الاعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتي بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فان النار أقرب الى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطبراني بسند صحيح لكن فيه انقطاع التائب من الذنب كمن لا ذنب له ورواه البيهقي من طريق آخر وزاد والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه الندم توبة أي انه معظم أركانها لكبر الخ معرفة ولا بد في الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها بخلاف نحو هتك أو ضياع مال على المعصية أو نحو ذلك والحاكم وصححه لكن فيه ما قط ما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفره منه ومسلم وغيره والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم ومسلم ليس أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب اليه العذر

من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل ومسلم ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم
وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها
ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت قال صلى الله عليه وسلم
لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل مما جادت بنفسها لله
عز وجل والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع
مرات ولكن سمعته أكثر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الكفل من بني اسرائيل
لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل
من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه
الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلتيه قط اذهبي فهي لك وقال لا والله لا أعصي بعدها أبدا
فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية
الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط
وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية
الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة والشيخان كان فيمن
كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه
قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل
على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى
أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق
حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة
الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في
صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما هو أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى
الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من
أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه
الى هذه أقرب بشبر فغفر له وفي رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت ناء بصدره نحوها
والطبراني بسند جيد ان رجلا أسرف على نفسه فلقي رجلا فقال ان الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم
ظلما فهل تجد لي من توبة قال لا فقتله وأتى آخر فقال ان الآخر قتل مائة نفس كلها ظلما فهل تجد لي من
توبة فقال ان حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه
اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين
المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب الى دير التوابين بأنملة فغفر له وفي رواية له ثم أتى
راهبا آخر فقال اني قتلت مائة نفس فهل تجد لي من توبة فقال أسرفت ما أدري ولكن ههنا قريتان قرية
يقال لها نصرة والاخرى يقال لها كفرة فأما أهل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما

أهل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق الى نصرة فان ثبت فيها وعملت عمل أهلها فلا شك في توبتك فانطلق يريدها حتى اذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال انظروا الى أي القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب الى نصرة بقيد أغلة فكتب من أهلها

﴿الباب الرابع والخمسون في بيان النهي عن الظلم﴾

قال الله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة وفي بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري وما أحسن قول بعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

(وقول الآخر)

اذا ما الظلوم استوطأ الارض مركبا * ويلج غلوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان فانه * سيبدي له ما لم يكن في حسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الاقوياء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان الجبار ليموت هولا في وكرها من ظلم ظالم وقيل مكتوب في التوراة ينادي مناد من وراء الجسر يعني الصراط يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر المترفين الاشقياء ان الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم وعن جابر رضي الله عنه قال لما رجعت مهاجرة الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة فقال فتية وكان منهم علي يا رسول الله بينما نحن يوما جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي لجميع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما أمري وأمرك عنده غدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والاتوى بهم في الآخرة الى النار أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستعمله ولم يوفه أجره ورجل ظلم امرأة في صداقها وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤسهم الى الله وقالوا يا رب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه وعن وهب بن منبه رضي الله عنه بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه شيأ تأوي اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوي اليه فأمر بهدمه فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت قال فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على

من فيه فقلبه (وقيل) لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد العز صرنا في القيد والحبس قال يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل عنها وكان يزيد بن حكيم يقول ما همت أحداقط هيبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له الا الله يقول لي حسبي الله بيني وبينك وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال يجيء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف ما في ظلمه فما يبرح الذين ظلموا حتى ينتزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيآتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الاسفل من النار وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فينادي بهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بظلامة حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغي لاحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يا رسول الله كيف وانما نأتي حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيآت جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة (وتذكر) ان كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية في الفضل والادب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقد الولد على المعلم الى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال له المعلم اعلم أيها الملك انك لما بلغت الغاية في الفضل والادب علمت انك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه

﴿الباب الخامس والخمسون في النهي عن ظلم اليتيم﴾

قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أي لاجله أو حال كونهم ظالمين وخرج به أكلها بحق كأكل الولي بشروطه المقررة في كتب الفقه قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أي بقدر الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجرة عمله أو ان اضطر فان أيسر قضاه والا فهو في حل وقد نبه تعالى على تأكد حق الايتام ومزيد الاهتمام به بقوله قبل هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا اذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على انها في الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في حجره يتيم على انه يحسن اليه حتى في الخطاب فلا يخاطبه الا بنحو يا بني مما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والاحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل عياله وبذريته من بعده فان الجزاء من جنس العمل مالك يوم الدين أي الجزاء كما تدين تدان أي كما تفعل يفعل بك بينما الانسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره واذا بالموت قد نزل به فيجزيه الله تعالى في ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر فليخش العاقل على أولاده وماله ان لم يكن له خشية على دينه ويتصرف على الايتام الذين في حجره بما يحب أن يتصرف ولي أولاده لو كانوا أيتاما عليهم في ماله وبما أن الله تعالى أوحى الى داود وسلى الله على نبينا وعليه وسلم

يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم انك كما تزرع كذا تحصد أى كما تفعل يفعل معك اذ لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة وجاء فى التشديد فى أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما فى الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذيرا للناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة أخرج مسلم وغيره يا أبا ذر انى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والشيخان وغيرهما اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والبزار الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وابن حبان فى صحيحه ان من جملة كتابه صلى الله عليه وسلم الذى أرسله مع عمرو بن حزم الى أهل اليمن وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا فقيل من هم يا رسول الله قال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى حديث المعراج عند مسلم فاذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل فى أفواههم جمرا من نار تخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

الباب السادس والخمسون فى بيان ذم الكبر

تذكر ما ورد فى ذم الكبر زيادة على ما تقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من ابليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والارض الى عذاب السعير ففى الحديث القدسى الكبر يا ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ولا أبالى وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويساقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك جائر وعائل مستكبر وعن عمر رضى الله عنه انه قرأ قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده وروى ان ثابت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله انى امرؤ أحب الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس أى ازدراءهم واستحقارهم وهم عباد الله

أمثاله أو خير منه (قال وهب بن منبه) لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن وإلا مكنك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد إذا أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله (وقالت قريش) فيما أخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ثم أخبرهم الله عن تحجبهم حين دخلوا النار اذ لم يروا فيها الذين ازدروهم كأهل الصفة فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم (قال وهب رضي الله عنه) العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة وكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر همومها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وذلك لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار وقال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقف علمكم بجهلكم (روى) ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فأنفه منه وقال له قم عني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى اغار يدا من العباد قلوبهم (روى) ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيئني من القراء كل مفحاك فأما الذي تلقاه بشر ويلقاك بعبوس عن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله (روى) عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال قارلت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر ظف الصاع ظف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي وقال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب الى أصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما للتعليم غير أو ليتفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدل بالخليع لاحد هذين المعنيين

﴿الباب السابع والخمسون في فضل التواضع والقناعة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا ومعه ملكان وعليه ٢ حكمة عسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قال اللهم ضعه وان وضع نفسه قال اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اغما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطين الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ومن أحسن ما قيل شعرا

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * على طبقات الجو وهو وضيع

(وما جاء في فضل القناعة زيادة على ما تقدم) قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس فبالقناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره وارتفع الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال بعضهم ما رأيت غنى أفضل من القناعة ولا فقرا أشد من الرغبة وأنشد

أفادتني القناعة ثوب عز * وأي غنى أعز من القناعة
فصرها النفس رأس مال * وصيرها التقوى بضاعة
تجد بحين تغني عن خليل * وتنعم في الجنان بصبر ساعة

(وقال آخر)

قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

انما أنت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها

(وقال آخر)

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر * ومنه اقتنع بالذي قد حصل
ولا تتعب النفس في تحصيله * فان كان ثم نصيب وصل

(وقال آخر)

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا

(وقال آخر)

ياطالب الرزق الهني بقوة * هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الاسود بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو نعيف

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابته خصاصة قال لاهله قوموا الى الصلاة ويقول أمرت بهذا ويقرأ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وأنشدوا

دع التهافت في الدنيا وزينتها * ولا يغرنك الا كثار والجشع
واقنع بما قسم الرحمن وارض به * ان القناعة مال ليس ينقطع
وخل ويلك فضول العيش أجمعها * فليس فيها اذا حققت منتفع

ولبعضهم

اقنع عاتلقى بلا بلغة * فليس ينسى ربنا النقله
ان أقبل الدهر فقم قائما * وان تولى مدبرا فاقعد له

ومن كلام الحكماء ليست العزة في حسن البزة فان التنعم بلبس الثياب والتجمل بحسن الزي يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميالا الى دنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب وأنشد بعضهم

رضيت من الدنيا بلقمة بائس * ولبس عباء لا أريد سواهما
لاني رأيت الدهر ليس بدائم * فدهري وعمري فانيان كلاهما

﴿الباب الثامن والخمسون في بيان غرور الدنيا﴾

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى ما يسوء ويسر فليست مساعدة لجميع أهلها وانما هي متلونة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال بعض المفسرين مختلفين في الرزق يريد اختلافهم في الغنى والفقر فمن الواجب على من ساعدته دنياه وأخدمته مولاه ان يتلقى ذلك بشكره ويتوجه اليه بصنائع المعروف فانها تقي مصارع السوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني الآية تنفيرا عن الغرور بها وقال صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبطون سهر الحمقى واجتهادهم والمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من مل الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وقال الشاعر

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(وقال آخر)

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها غدا
ما كان فى حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

وأنشد ابن بسام

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقه
همومها لا تنقضى ساعة * عن ملك فيها ولا سوقه
يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

(وأنشد آخر)

وقائلة أرى الايام تعطى * لئام الناس من رزق حثيث
وتمنع من له شرف وفضل * فقلت لها خذى أصل الحديث
رأت حمل المكاسب من حرام * فجادت بالخبيث على الخبيث

(وأنشد آخر أيضا)

سل الايام ما فعلت بكسرى * وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للبين طرا * فلم تدع الحليم ولا السفيها

وحكى ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم نام فى ظل خيمتهم فاقتلعوا الخيمة فأصابه حر الشمس فانتبه فارتحل وهو يقول

ألا انما الدنيا كظل بيته * ولا بد يوما أن ظلك زائل

(وقال أيضا)

ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له قد أسعدك الداهى وأعذر اليك الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطاه العمل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الدنيا وسرّ بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال بعضهم ان العبد يحاسب على التحزن على ما فاته من الدنيا ويحاسب بفرحه فى الدنيا اذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات وهى لمسعر بن كدام

نهارك يا مغرور نوم وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى * كما غر بالذات فى النوم حالم
وشغلك فيها سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

﴿الباب التاسع والخمسون فى بيان ذم الدنيا والتحذير منها﴾

روى عن أبى امامة الباهلى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال يا ثعلبة أما لك فى

أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا ثم دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا فعلن ولا فعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فاقت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ماسواهما ثم غنت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما ففرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا فمر السليمي فسمع بهما فقام الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذاها نفسي بها طيبة وأغاهي لتأخذاها فلما فرغا من صدقاتهما راجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أريا ني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأنزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان * وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهيا الى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري فانتهيا الى صفارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاثا ثم قال ثلث لي

وثلث

وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لاى شئ أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (وحكى) أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بأيديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قال انما كرهناهما الان أحدالم يعط منهما شيأ الا ناقت نفسه ودعته الى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قال كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض ففشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده فكان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فتأخذ لك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به وما أحسن قول القائل

يا من تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

﴿وقول الآخر﴾

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل * وتأخير ذى فضل فقالت خذ العذرا

بنوا الجهل أبنائى لهذا رفعتهم * وأهل التقى أبناءه ضربت الاخرا

وقول محمود الباهلى

ألا اغا الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت

فان أقبلت فاستقبل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

الباب الستون فى فضل الصدقة

قال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله يقبلها بيمينه أى ملتبسة بيمينه و بركته ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه بفتح فضم فتشديد مهره أول ما يولد حتى تكون مثل الجبل وفى رواية كما يربى أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات يحق الله الربى و يربى الصدقات ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل وفى رواية للطبرانى ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده لصدقة الا ألقيت فى يد الله أى الا قبلها الله تعالى و رضى بها قبل ان تقع فى يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر يقول العبد مالى مالى واغناله من ماله ثلاث ما أكل فافنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى ماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس (وفى الخبر) ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان فينظر أين منه فلا يرى الا ما قدم و ينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم و ينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفى الخبر أيضا ليق أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار * يا كعب بن عجرة ان لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد فى فكاك نفسه فعتقها وغاد موبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا وفى رواية كما يطفئ الماء النار * ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وفى رواية ان الله ليدرأ أى يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء وفى الحديث كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفى آخر لا يخرج رجل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا وقيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول وقال صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة درهم فقال رجل كيف ذلك يا رسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من عرضه أى بضم أوله المهمل و بالضاد المعجمة جانبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وقال صلى الله عليه وسلم لا ترد سائلك ولو بظلف هو بكسر أوله المحجم للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس * سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله الى أن قال ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه * صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفى رواية للطبرانى صنائع المعروف تقى مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف وفى أخرى له ولاحمد الصدقة يا رسول الله قال أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة * قيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال سر الى

فقير أو جهد من مقل ثم قرأ ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله تعالى مادام عليه منه خيط أو سلك * أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمر الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم * الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي رحم ثنتان صدقة وصلة * أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي المضمر لعداوتك في كشحه أي خصره كناية عن باطنه * من منح منيحة لبن أي بأن أعطى لبونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أو ورق أي بأن أقرض دراهم أو هدى زقاقا أي الى الطريق كان له مثل عتق رقبة * كل قرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر * من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة * أي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف أنبئني عن كل شئ قال كل شئ خلق من الماء فقلت أخبرني بشئ اذا عملته دخلت الجنة قال أطعم الطعام وأفش السلام وصل الارحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام * أعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام * من موجبات الرحمة اطعام المسلم المسكين من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يروى باعده الله من النار سبع خنادق مابين كل خندق مسيرة خمسمائة عام * ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي

﴿الباب الحادي والستون في قضاء حاجة أخيه المسلم﴾

قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم في الحلية وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فثبت له فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق مابين الخندق والخندق كما بين السماء والارض وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم مادام وا في حوائج الناس مالم يملوا فاذا ملوا نقلها الى غيرهم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال

يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل الي رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لأستحيي من الله أن يراك ببابي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال أيضا قوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العبد اذا أفرط في مص ثدي أمه نظمته وما أحسن قول الشاعر

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * ما دمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * الليل لا لك عند الناس حاجات

﴿وقول الآخر﴾

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيلك فارج
فلغير أيام التي * يوم قضى فيه الحوائج

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه

﴿الباب الثاني والستون في فضل الوضوء﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم أيضا ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كلام حث على تجديد الوضوء وقال عليه الصلاة والسلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى أن الطاهر كالصائم وقال عليه الصلاة والسلام من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا فليفعل فان

فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجد رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر لكسوة الكعبة فنزل الرجل بعض أرض الشام الى جانب صومعة حبر من الاحبار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علما فاتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه فأعجبه علمه فشكى اليه حبسه على بابه فقال له الحبر انا كنا نرى انك حين عدلت الينا على هيبة السلطان فتخوفنا ذلك وانما حبسناك على الباب لان الله تبارك وتعالى قال لموسى يا موسى اذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فان من توضأ كان في أماني مما يتخوف فاغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من في الدار وصلينا فأمنا لذلك ثم فتحنا لك الباب

الباب الثالث والستون في فضل الصلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز ثم ما ورد في فضلها زيادة على ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما قال محمد ابن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة لان في الركعتين رضا الله تعالى وفي الجنة رضاك ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة فأهل سماء قيام على أرجلهم الى نفخة الصور وأهل سماء ركع وأهل سماء سجد وأهل سماء مرخية الاجنحة من هيبته تعالى وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض جمع الله ذلك كله في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال وأقيموا الصلاة وقال وأقم الصلاة وقال والمقيمين الصلاة فلم يجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل الا مع ذكر اقامتها فلما بلغ ذكر المنافقين قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم ان المصلين كثير والمقيمين للصلوات قليل فأهل الغفلة يعملون الاعمال على الترويح ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان منكم من يصلي الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعني انه لا يكتب له من صلاته الا ما عقل منها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانما عظم شأن صلاة العبد باقبال العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته ولم يحدث النفس كان بمنزلة من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وزلته فلما وصل الى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته فكذلك الصلاة اذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه واعلم ان مثل الصلاة كمثل وليمة اتخذها ملك وهيأ فيها ألوانا من الاطعمة والاشربة لكل لون لذة وفي كل لون منفعة ودعا الناس اليها فكذلك الصلاة دعاهم الرب اليها وهيأ لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة فتعبدهم بها ليلذذهم بكل لون من العبودية فالافعال كالاطعمة والاذكار كالاشربة وقد قيل ان في الصلاة اثنتي عشرة ألف

خصلة ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة ألفا فى اثنتى عشرة خصلة فمن أراد أن يصلى فلابد أن يتعاهد هذه الاثنتى عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول فى الصلاة وستة فيها أولها العلم لان النبى صلى الله عليه وسلم قال عمل قليل فى علم خير من عمل كثير فى جهل والثانى الوضوء لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور والثالث اللباس لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد يعنى البسوا ثيابكم عند كل صلاة والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعنى فرضا مؤقتا والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعنى نحوه والسادس النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والسابع التكبير لقوله صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والثامن القيام لقوله عز وجل وقوموا لله قانتين يعنى مصلين والتاسع الفاتحة لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن والعاشر الركوع لقوله عز وجل واركعوا والحادى عشر السجود لقوله عز وجل واسجدوا والثانى عشر القعود لقوله صلى الله عليه وسلم اذا رفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته فاذا وجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاج الى الختم وهو الاخلاص لتتم هذه الاشياء لان الله تعالى يقول فاعبدوا الله مخلصين له الدين فاما العلم ففى ثلاثة أوجه أولها أن يعرف الفريضة من السنة والثانى أن يعرف ما فى الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فان ذلك من تمام الصلاة والثالث أن يعرف كيد الشيطان فيأخذ فى محاربته بالجهد وأما الوضوء فقسامه فى ثلاثة أشياء أولها أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش والثانى أن تطهر البدن من الذنوب والثالث أن تغسل الاعضاء غسلا سابغا بغرائر الماء وأما اللباس فقسامه بثلاثة أشياء أولها أن يكون أصله من الحلال والثانى أن يكون طاهرا من النجاسات والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء وأما حفظ الوقت ففى ثلاثة أشياء أولها أن يكون بصرك الى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد بها سقوط الوقت والثانى أن يكون سمعك الى الاذان والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت وأما استقبال القبلة فقسامه فى ثلاثة أشياء أولها أن تستقبل القبلة بوجهك والثانى أن تقبل على الله بقلبك والثالث أن تكون خاشعا ذليلا وأما النية فقسامها فى ثلاثة أشياء أولها أن تعلم أى صلاة تصلى والثانى أن تعلم انك تقوم بين يدى الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة والثالث أن تعلم أنه يعلم ما فى قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا وأما التكبير فقسامه فى ثلاثة أشياء أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما والثانى أن ترفع يديك حذاء أذنيك والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم وأما قسام القيام ففى ثلاثة أشياء أولها أن تجعل بصرك فى موضع سجودك والثانى أن تجعل قلبك الى الله والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا وأما قسام القراءة ففى ثلاثة أشياء أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن والثانى أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها والثالث أن تعمل بما تقرأ وأما قسام الركوع ففى ثلاثة أشياء أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه والثانى أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار وأما قسام السجود ففى ثلاثة أشياء أولها أن تضع يديك بحذاء أذنيك والثانى أن لا تبسط ذراعيك والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم وأما قسام الجلوس ففى ثلاثة أشياء أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا والثانى أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين والثالث أن تسلم على التمام وأما قسام

السلام

السلام فان يكون مع النية الصادقة من قلبك ان سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك وأما تمام الاخلاص ففي ثلاثة أشياء أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة ولم يقل من عمل بالحسنة

﴿الباب الرابع والستون في بيان أهوال القيامة﴾

روى ان عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم اما أن يخف واما أن يثقل وعند تطاير الصحف اما أن يعطى كتابه بيمينه واما أن يعطاه بشماله وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويقول وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوي عليهم حتى يرميهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يارسول الله وما الصور قال قرن من نور قلت يارسول الله كيف هو قال عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فتدخل في الاجساد من الحياشيم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وفي خبر آخر اذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فينزلون الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الارض فينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل فيقول ياجبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول ياجبريل ما فعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فانك أول من تنشق عنه الارض وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا معشر الجن والانس اني نصبت لكم قائمة هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي) انه قرئ في مجلسه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أي ركبانا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يعني مشاة عطاشا فقال أيها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا وتأتون من الاطراف فوجا فوجا وتقفون بين يدي الله فردا فردا وتسألون عما علتم سرا فسرا وتقادون الاولياء الى الرحمن وفدا وفدا ويرد العاصون الى عذاب الله وردا وردا ويدخلون جهنم زمرا زمرا اخواني أمامكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المساءلة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال مقاتل بن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ومائة سنة في الظلمة متحيرون ومائة سنة يوج بعضهم في بعض عند بهم يختصمون وان يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضي على المؤمن الخلص كأخف صلاة مكتوبة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء

عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن نبي قط الا كانت له دعوة مستجابة فعجلها في الدنيا واني خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة اللهم شفعه فينا جاهه عند لك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والستون في صفة جهنم والميزان﴾

لا بأس بذكر ذلك وان تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرار المواعظ ينفع القلوب الغافلة الفاسدة لاسيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة في كتابه في غير موضع عاتبهم في قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روى في الحديث ان جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل في كل جبل سبعون ألف شعبة من نار في كل شعبة سبعون ألف شق من نار في كل شق سبعون ألف واد من نار في كل واد سبعون ألف قصر من نار في كل قصر سبعون ألف بيت من نار في كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب لكل عقرب سبعون ألف ذنب لكل ذنب سبعون ألف قفار في كل قفار سبعون ألف قلة من سم فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها شرار ما دق عن عين الثقلين وشرار ما دق آخر من يسارهم وشرار ما أمامهم وشرار ما دق من فوقهم وآخر من وراءهم فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عظم خزنة جهنم المسار اليهم بقوله تعالى عليها تسعة عشر ان شداد كل ملك منهم بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالقسم الذي في يده جبلا لصار رمادا كافيهم بكل ضربة سبعين ألفا في قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر فالمراد بهم رؤساء الزبانية والا فالملائكة النار لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما سعتها ولكن بلغني ان بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعني سبعين سنة وانها تجري فيها أودية القيح والدم وفي حديث الترمذي ان كثافة كل سرادق من سرادقات النار أي كثافة جداره مسيرة أربعين سنة وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم لو أن جمجمة من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذي عليه وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه اذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حين انتهى الى قعرها والوجبة هي الهدة وهي صوت وقع الثقيل (وكان عمر بن الخطاب) يقول أكثر واذكر النار فان حرها شديد وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد وكان ابن عباس يقول ان النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فهل للنار عينان فقال نعم أما سمعتم قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عينيه مقعدا

قيل يارسول الله ولهما عينان قال أما سمعتم قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به فيقول اني وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه (وأما صفة الميزان) فقد ورد في الحديث ان كفة الحسنات من نور وكفة السيآت من ظلام وروى الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيآت عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيآت وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيآت في ميزان له كفتان ولسان وكان يقول اذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة

﴿الباب السادس والستون في بيان ذم الكبر والعجب﴾

اعلم أرشدني الله وإياك لخير الدنيا والآخرة ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر العلم حرب المتعالي كما أن السيل حرب للبناء العالي قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الحكماء لا يدوم الملك مع الكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بي يعني أتكبر عليه وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر (قال الجاحظ) المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدي وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الأرباب وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف ان لا يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن أرطاة ما لك لا تحضر الجماعة قال أختشي ان يزاحمني البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفني خلفك على ناقتك قال لست من أردافك الملوك قال فأعطني نعليك قال ما بخل بمنعني يا ابن أبي سفيان ولكن أكره ان يبلغ أقيال اليمن انك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المسور بن هند رجل أتعرفني قال لا قال أنا المسور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا لمن لم يعرف القمر وفي مثله يقول الشاعر

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن

الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض ومافيهن لو وضعت فى كفة الميزان ولا اله الا الله فى الكفة الاخرى كان لا اله الا الله أرجح منهما ولو أن السموات والارض كانتا فى حلقة فوضعت لا اله الا الله عليهما لقصمتهما وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه مر فى السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسى وفى تفسير القرطبى فى قوله تبارك وتعالى ولا يضربن بأرجلهن ان فعلنه تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال عجبا حرم لان العجب كبيرة

﴿الباب السابع والستون فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم﴾

أخرج البخارى أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما ومسلم كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبزار من كفل يتيما له ذو قرابة أولا قرابة له فأنا وهو فى الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائما قائما وابن ماجه من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وأشق أصبعيه السبابة والوسطى والترمذى وصححه من قبض يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر له وفى رواية سندها حسن حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة وابن ماجه خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وأبو يعلى بسند حسن أنا أول من يفتح باب الجنة الا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول مالك ومن أنت فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى والطبرانى بسند رواته ثقات الا واحدا ومع ذلك ليس بالمتروك والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولانه فى الكلام ورحم يتمه ونعف فلم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين الحديث وأخرج جماعة وصححه الحاكم أن الله تعالى قال ليعقوب ان سبب ذهاب بصره وابيضاضه ظهوره وفعل اخوة يوسف به ما فعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يحب شيأ من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل والشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وابن ماجه الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار (قال بعض السلف) كنت فى بدء أمرى سكيرا منكبا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم غفت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا عنيفا عجبا الى جهنم واذا باليتيم قد اعترضنى فقال دعوه حتى أراجم ربى فيه فأوحى الله اذا خلوا عنه فقد وهبناله ما كان منه باحسانه اليه فاستيقظت وبالغت فى اكرام اليتامى من يومئذ وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر الى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلدهم مهجورا فتركهن أهلهن فيه وخرجت قتال الدين فى القرن فقرت بالبير

البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها وقال لابد أن تقيمي عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبنتاتها الى داره فبالغ في اكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي صلى الله عليه وسلم معقودا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال يارسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد قال صلى الله عليه وسلم أقم عندي البينة بذلك فتحير فقص له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل في غاية الحزن والكآبة اذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبها منه فأبى وقال قد لحقني من بركاتهن فقال خذ ألف دينار وسلمهن الى فأبى فأراد أن يكرهه فقال الذي تريده أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي أتفخر علي باسلامك فوالله ماعمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوية وبناتها عندك قلت نعم يارسول الله قال القصر لك ولاهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن مالا يعلمه الا الله تعالى

﴿الباب الثامن والستون في أكل الحرام﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية واختلفوا في المراد به فقيل الربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الانسان بغير عوض وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يأكلوا عند أحد شيأ حتى نزلت آية النور ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود انها محكمة ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة انتهى وذلك لان الاكل بالباطل يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كالمأخوذ بالقمار والملاهي وسيأتي ذلك كله أو على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويؤيد ما ذكرته قول بعضهم الآية تشمل أكل الانسان مال نفسه بالباطل بأن ينفقه في محرم ومال غيره به كالامثلة المذكورة وقوله تعالى الا أن تكون تجارة استثناء منقطع لان التجارة ليست من جنس الباطل بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله والتجارة وان اختصت بعقود المعاوضات الا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة أخرى وقوله تعالى عن تراض منكم أي طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الاكل فيها بالذكر ليس للتقييد به لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وأدلة هذا المبحث والتغليظات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك والطبراني باسناد حسن طلب الحلال واجب على كل مسلم والطبراني والبيهقي طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذي وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يارسول الله ان هذا في أمتك اليوم كثير قال وسيكون في قرون بعدي وأحمد وغيره باسناد حسن أربع اذا كن فيك

فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة في طعمة والطبراني طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والطبراني يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبزار وفيه نكارة انه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة له من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعني قميصا لم تقبل صلاته حتى يخلي ذلك الجلباب عنه ان الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سمعته يقوله والبيهقي من اشترى سرقة وهو يعلم انها سرقة فقد اشترك في عارها واثمها قال الحافظ المنذري في اسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا وأحمد بسند جيد والذي نفسي بيده لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما والحاكم من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه والطبراني من كسب مالا حراما فأعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك اصرا عليه وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله قال غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والترمذي وقال حسن صحيح غريب سئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق والترمذي وصححه ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه والبيهقي الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أورده الله دار الهوان ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة يقول الله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به والترمذي لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به والسحت بضم فسكون أو ضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفي رواية بسند حسن لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام

﴿الباب التاسع والستون في النهي عن الربا﴾

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الاحاديث ما رواه البخاري وأبو داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين وروى أحمد وأبو يعلى وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال آكل

الربا وموكله وشاهداه وكاتبه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوى الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل امه والبزار بسند رواته رواة الصحيح الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك والبيهقي الربا سبعون بابا أدناها الذي يقع على أمه والطبراني في الكبير عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها في الاسلام وفي سنده انقطاع وروى ابن أبي الدنيا والبغوي وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف في حكم المرفوع لان كون الدرهم أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدرك الا بوحي فكأنه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ولفظ الموقوف في أحد طرقه قال عبد الله الربا اثنان وسبعون حوبا أي بضم المهملة وبفتحها اثما أصغرها حوبا كمن أتى أمه في الاسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة الا آكل الربا فانه لا يقوم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وأحمد بإسناد جيد عن كعب الاحبار قال لان أزني ثلاثا وثلاثين زنية أحب الي من أن آكل درهما ربا يعلم الله اني أكلته حين أكلته ربا وأحمد بسند صحيح والطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية وابن أبي الدنيا والبيهقي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم والطبراني في الصغير والاوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبيهقي ان الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من أتى أمه في الاسلام ودرهم من ربا أشد من خمس وثلاثين زنية الحديث والطبراني في الاوسط من رواية عمرو بن راشد وقد وثق الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه وابن ماجه والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشترى الثمرة حتى تعظم وقال اذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأبو يعلى بإسناد جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه ذكر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ما ظهر في قوم الزنا والربا الا أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأحمد بإسناد فيه نظر ما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا وأحمد في حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهاني رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقي فاذا أنا برعد وبرق وقواصف قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء آكلة الربا والاصبهاني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء نظرت في سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سابلة آل فرعون

موقوفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال الاصبهاني قوله منضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أي يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي والطبراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر والطبراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في سوق الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا أحمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة أبشروا بالنار والطبراني ابالغ والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيأ أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والاصبهاني يأتي آكل الربا يوم القيامة مخبلا أي مجنونا يجر شقيه ثم قرأ لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وابن ماجه والحاكم وصححه ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة والحاكم وصححه أيضا الربا وان كثر فان عاقبته الى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف في سماعه منه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا آكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والذي نفسي بيده ليبيتن أناس من أمتي على أشر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير وأحمد مختصرا والبيهقي واللفظ له ليبيتن قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة تسيها راويه القينات جمع قينة وهي المغنية

﴿الباب السبعون في حقوق العبد﴾

هي أن تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له كثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توددهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أن مثال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها أن لا يؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه

وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلم من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يارسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادي يافلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين وقال أبو هريرة رضي الله عنه يارسول الله علمني شيأ أنتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيأ يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره أذى المؤمنين وقال الربيع بن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد ومنها ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ومنها أن لا يزيد في الهجران يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعقوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الدارين قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من أحد تواضع لله الا رفعه الله

﴿الباب الحادي والسبعون في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد﴾

قال الله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم الآية قال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه ولا يعمل بكتاب الله فكأنه يعبد هواه وقال تعالى ولا تتبع أهواءهم وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولذلك استعاذ صلى الله عليه وسلم منه بقوله اللهم اني أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع وقال ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه وذلك لان كل معصية تدعو اليها هوى النفس فهو يقود

الى النار أعاذنا الله منه قال بعض العارفين اذا بدهك أمران لا تدرى فى أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه وفى هذا المعنى قال الشافعى رضى الله عنه

اذا جال أمرك فى معشيين * ولم تدر حيث الخطا والصواب
فخالف هواك فان الهوى * يقود النفوس الى ما يعاب

وقال العباس اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك وأصله أن الامر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه ويخف مؤنته وتأتى معونته فيشره المرء اليه وتحرص النفس عليه والامر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطئ معونته فتكسل النفس عنه وتكره التعب به روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اقدعوا هذه الانفس فانها طلعة تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبئ وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال لقمان لابنه يابنى أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها عادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة فى القلب كمون النار فى الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى قال بعضهم

اذا ما أجبت النفس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

﴿وقال آخر﴾

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

﴿وقال غيره﴾

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

وقال

اذا شئت اتيان المحامد كلها * ونيل الذى ترجوه من رحمة الرب
فخالف هوى النفس المسيئة انه * لأعدى وأردى من هوى الحب
هما سيان حتف الهوى غير أن فى * هوى الحب مهما عف يعدا عن الذنب
وجل المعاصى فى هوى النفس فاعتمد * خلاف الذى تهواه ان كنت ذا لب

وقال

انارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

﴿وقال الفضل بن العباس﴾

لقد ترفع الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب
وقد تحمد الناس الفتى وهو مخطئ * ويعذل فى الاحسان وهو مصيب

وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل وقال له أقبل فاقبل وقال له أدبر فادبر فقال وعزتى وجلالى لا أركبنك الا فى أحب الخلق الى وخلق الحق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لا أركبتك الا فى أبغض الخلق الى رواه الترمذى ولله در من قال

وقد أصاب رأيه عين الصواب * من استشار عقله فى كل باب
وقد رأى ان الهوى مهما يجب * يدعو الى سوء العواقب والعقاب

﴿وأنشد آخر﴾

اذا شئت أن تحظى برأى تبلغ المنى * فلا تسعد النفس الطليعة للهوى
وخالف بها عن مقتضى شهواتها * واياك أن تحفل بمن قل أو غوى

ودعها وما تدعوا اليه فانها * لأمارة بالسوء من هم أومدى
لعلك أن تنجو من النار انها * لقاطعة الامعاء نزاعة الشوى

ومن منشورهم الهوى مركب ذميم يسير بك فى ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن فلا تحملنك شهوة النفس على ركوب المذمات والقعود فى مواطن الخطيآت قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسى لطلقتها وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجرد

الدنيا نوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال التظلم لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية * أوصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فان الهوى مفتاح السيآت وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لا يشوبه وهن وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبط وصبر لا يغتاله جزع ونية لا يتقسمها التضييع اللهم اجعل عقولنا غالبة على هوانا ولا تدفعنا ضراوة أهوانا ولا تشغلنا بدنيانا عن أخرانا واجعلنا اذا كرين لك شاكرين لنعمك بجاه نبيك محمد سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم والحمد لله على ما أولانا * قال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشئ من عمله قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاث مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك الشبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال وهذا تفسير حسن قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وما أحسن قول القائل

انى وجدت فلا تظنن غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وليس الزاهد من زهد فى الدنيا وقد أعرضت عنه وانما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها كما قال أبو تمام

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بصفرتها الدنيا فليس بزاهد

وقال بعض الحكماء مالنا لا نزهد فى الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر ان أقبلت تشجى وان أدبرت تردى قال

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها * كأنها هى فى تصريفها حلم
سفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان علك ما قد ضمنت ارم
نخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نهم فى طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفاد لها * ولا يخاف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا ورفضك لها اختيارا وسعيك فيها اضطرارا وطلبك الآخرة ابتدارا

﴿الباب الثاني والسبعون في صفة الجنة ومراتب أهلها﴾

اعلم ان تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لا محالة في الاخرى فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم حاسن على منابر الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على الارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان عشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار متوجات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت منيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها بيضا وخمرا وعسلا وماء غير آسن أرانيها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويعطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب أي أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف ندام يحكي بياضه وجهه الشمس في اشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فيا حبذا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع عن نزل بفنائها ولا تتنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها وبتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا السلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن تهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متمتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يا أهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان

الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أي هما دعي فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأغا دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو باثري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لأعمى بان يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه أكواب موضوعة وغارق مصفوفة ونمارق مبثوثة ثم انكأ فيقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا ترضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك * ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو يعلو بناؤه ثقل عليك ذلك أو ضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي

نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبينا انت وأمنا قال ان في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ومن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرذ أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك اجمع

*(الباب الثالث والسبعون في الصبر والرضا والمناعة

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو عبارة عن آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن درکه ومن يقوى عليه فيستقل بادراکه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه بنعايا الغايات وأقصى الامانى لما ظفر وا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاثة أشياء من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيدذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو غرة رضا العبد وأما فضله من الاخبار فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب

الكعبة وفي خبر آخر أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفي الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال تعالى اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال أيضا اذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفي أخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (وأما فضل الصبر) فقد ذكر في القرآن في نيف وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرته وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول ﴿وأما الاخبار﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما تنتم عليه أحب الي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروي جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقي وان من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم عز من قنع وذل من طمع وقال صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا

﴿الباب الرابع والسبعون في فضل التوكل﴾

فمن الآيات قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم مقام موسوم بحمد الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم في الموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم فقيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أصاب أهل خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقوا واكتوى وروى أنه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمي الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاه بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى وابراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقمت على أمي التسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ الى الشأم قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب

﴿الباب الخامس والسبعون في فضل المسجد﴾

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد وقال

صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في بعض الكتب ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فاحقه أن يقول الا خيرا وروى في الاثر أوائل الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وقال علي كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكرا الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم

﴿الباب السادس والسبعون في الرياضة وفضل أهل الكرامة﴾

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق ﴿الاول﴾ أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده ﴿الثاني﴾ أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت همته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد قل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن ينتهوا العيوب هم بتنبيه

غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون معصوما عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم ألمها وما يفادونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو الا فامن السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بعداوتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا عنه وفضله

﴿الطريق الثالث﴾ أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وان تتشرع على ألسنتهم ﴿الطريق الرابع﴾ أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا أدبا فاقلوا ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب (قيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله جيل من فقد شيخا عارفا زكا بصيرا بعيوب النفس منفتنا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه ويحميه من المهلك الذي هو بصدده (واعلم) أن ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأوديتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها وروي أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا محجوبة عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لوعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر

قال

قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تتابعها عملك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثورى ما عالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو عباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بتركك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن سعيد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا قليها الذل (ويروى) أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بالطاعة تهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (وقال الجنيد) أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فتى يصيد النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا أربعين مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد هاقد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا

﴿الباب السابع والعشرون فى الايمان والنفاق﴾

اعلم ان كمال الايمان الذى هو التصديق بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم
بزيادة الاعمال قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك
الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوى
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم
الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها
اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق
والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه
مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض
الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر
فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل
النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم لها وفى لفظ آخر
غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام أكثر منافقى هذه الامة قراؤها وفى الحديث الشرك أخفى فى
أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا فقال انى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات
وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برى من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم
أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق
يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برى منه فقد
قيل للحسن البصرى يقولون انه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق
وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضى الله
عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعده هذا
نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين فى الدنيا جعل
الله ذا لسانين فى الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء
بوجه ويأتى هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لان أكون أعلم أنى
برى من النفاق أحب الى من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب
والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه انى أخاف أن أكون منافقا فقال
لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة
وفى رواية ستين ومائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم
كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعليه وبين عينيه أثر السجود
فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من
الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك الله هل حدثت

نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم انى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل فى التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيآت وقال مرى السقطى لو أن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا فى يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر فى المنافقين وقال أبو سليمان الدارانى سمعت من بعض الامراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين

(الباب الثامن والسبعون فى النهى عن الغيبة والنميمة)

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبى سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبى عليه الصلاة والسلام فقلت علمنى خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تنصب من دلوك فى اناء المستقى وان تلق أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجىء فيقول يارسول الله ظللت صائما فأذن لى لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتيانك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءت كل

واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاء تا فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم (وأما النميمة) فهي خصلة ذميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عقيل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث وهو مشي بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عقيل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الذي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة الغمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر الضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة غمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو الغمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بالله أبغضكم الله الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة في النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها أهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن معه من سكر ولا مسر على الزنا ولا قتات وهو الغمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار أن بني اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرارا فاستسقوا فأوحى الله تعالى اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم غمام قتات قال موسى يا رب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا قال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما قال يا رب فاستسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعة أشهر فسمع في سبع ليلات فلما قدم عليه قال اني تبعتك لاسألك عما سأل الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الحجر وما أشد منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن الفقر وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرئ أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تجب أبرد من الزمهرير والفقر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم وما أحسن قول الشاعر

من تم في الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف ينقضيه

﴿وقول الآخر﴾

يسعى عليك كما يسعى الهلال فلا * تأمن غوائل ذي وجهين كاد

﴿الباب التاسع والسبعون في بيان عداوة الشيطان﴾

قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن اغلهما عجولان في القلب لهم من الله تعالى ولهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال أفاعل ذلك مثل البيت الذي يعربه اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك يسلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الحيوان للجوهري شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يجيء وسوسة الشيطان من القلب الا كرما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به جوز أيضا أن يكون محالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه محال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات محبوبة لهم من ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من

ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة

(الباب الثمانون في بيان المحبة ومحاسبة النفس)

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلا يتعرض لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم * حبيك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني * أنت بما ترتئي عليم

(ولغيره)

عجبت لمن يقول ذكرت الفي * وهل أنسى فاذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا * فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم ذو النون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم الهي انك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لهوه والعاقل عن عيوبه فتاش (وأما محاسبة النفس) فقد أمر الله بها بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذا اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال قبل الموت وقال صلى الله عليه وسلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وقال ابن [illegible] فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوصي أنت فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر [illegible]

فأمضه وان كان غيا فانته عنه وفى الخبر وينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريك كان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الىّ من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلام فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى نما وارجا للعوض عما فاته وفى حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بيتك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشئ يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن بينى وبينك هيهات حيل بينى وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله (وقال أنس بن مالك) سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى ماذا أردت بشربتى والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان ظالم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمى مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسى يا نفس أى شئ تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت فى الامنية فاعملى وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى ميزانه قال وما زال يقول حتى أبكانى وحكى صاحب الاحقف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل البكاء وكان يجىء الى المصباح فيتم أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا وما حملك على ما صنعت يوم كذا

(الباب الحادى والثمانون فى بيان تلبيس ابليس على الباطل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى

قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل مني وان أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وعمله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب أي علموه ويأخذون عرض هذا الادنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا عاقلا فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على تحسينها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا همهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن مع كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فقرى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين بالشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يتلافى التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يسبح الله فيقول سبحان الله وبحمده أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة ويغفل عن هذيانه طول نهاره الا ما كتبه لسان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعد الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ويلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يملون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قراءته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أو يفضل عليه أجرة النسخ فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاج خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمها هذه الامنية عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان سلكنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما في القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين بهم هذا البيان ويا أيها من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يمحي ويثبت ولا يغفر بما تفعل أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

(الباب الثاني والثلاثون في فضل صلاة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم فقدنا رجلا في بعض الصلوات فقال انه ما منعه الا أنه [illegible]

الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم وفي رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ الخير عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتهي من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوجت قوّمني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى أريت أن لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري ما زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن أعتل أذن ابن آدم صاما منذ ما خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروي أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

(الباب الثالث والثمانون في فضل صلاة الليل)

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه وفي الخبر ان للشيطان سوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد سامخلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي الصحيح عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة

لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفى رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا وقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد ربك يا أبا هريرة صل فى زواياك يبتلئ يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديدا لحره ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروى أنه كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله انى لست هناك ولا أبلغ على ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجارمن النار وأدخله الجنة ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع أسحر نافأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحر نا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شيع يحيى ابن زكريا عليهما السلام ليلة من خبر شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولرهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل قيل كان الامام البخارى رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم * نعيت نفسه الى عواده

﴿الباب الرابع والثمانون فى عقوبة علماء الدنيا﴾

ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال من الأئمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمبطلين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أنسيه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراده العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما ضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا ان ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعور واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه

الشيطان فكان من الغاوين حتى قال مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعلم أوتى كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتى الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع

﴿الباب الخامس والثمانون في فضل حسن الخلق﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أي الأعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال النسائي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء وما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء وما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الأعظم وقيل يارسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الكرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه

ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت وقيل فيم التجمل قال في لطف الكلام وإظهار البشر والابتسام فمن لقي الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يخف عليهم جانبه ويحمد إخاؤه كما قال

إذا حويت خصال الخير أجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش شكرته * والشكر من خلقه في السر والعلن

﴿ الباب السادس والثمانون في الضحك والبكاء واللباس ﴾

قال بعض المفسرين في قوله تعالى أفمن هذا الحديث أي القرآن تعجبون منه تكذيبا وتضحكون منه استهزاء مع كونهم من عند الله تعالى ولا تبكون خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد وأنتم سامدون لاهون غافلون عما يطلب منكم قال لما نزلت هذه الآية فاضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إلا أن يتبسم وفي لفظ فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا وعن ابن عمر رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظني قال يا موسى إياك والمجاجة ولا تمش بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلب وقال صلى الله عليه وسلم من ضحك لشباب بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن الحسن في قوله تعالى فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون وقال أيضا يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت ومر رضي الله عنه بشاب يضحك فقال له يا بني هل جزت على الصراط قال لا قال هل تبين لك أنك تصير إلى الجنة قال لا قال ففيم الضحك فما رؤي الشاب ضاحكا بعد ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وصح الله تعالى أقواما بالبكاء فقال تعالى ويخرون للأذقان يبكون وعن الأوزاعي في قوله تعالى ما هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثا عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله تعالى ويقال ثلاثة أشياء تقسي القلب الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع والكلام في غير حاجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يحبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له صلى الله عليه وسلم قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوضعه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئا قط كان أحسن

من بياض على سواده وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوبا بدأ بيمينه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخره من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من هل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما وارى حيا وميتا وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنفل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره

﴿الباب السابع والثمانون فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء﴾

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء (وأما فضل العلم والعلماء) فالاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أى مبغضا فتهلك وقال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرياسة فقد عدم التوفيق والسياسة قال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم العربية رق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينفعه علمه وقال الحسن بن على رضى الله عنهما ما من أكثر مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مسراق ذهنه وسرمان من الزيادة فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وافادة لما تعلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا رد الله عبدا نظر عليه العلم وقال صلى الله عليه وسلم لا فقر أشد من الجهل

﴿الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة﴾

اعلم ان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أم المعالم فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا

الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الحديث وشدد الوعيد على المقصرين فيهما فقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ﴿فائدة﴾ يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المرضيين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وذلك لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكه في طاعته باعانتك اياه وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلان أردهمة واحدة الى الله عز وجل أحب الي من أعطى ألفا من همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل يقبل الا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعونه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل وان يخص ذوي العاهات لا سيما ذوي الارحام والاقارب فتكون صدقته وصلة رحم وفي صلة الرحم ما لا يحصى من الاجر كما مر في بابه وان يخرج الصدقة سرا ليسلم من شؤم الرياء ومن اذلال المعطى في الملأ قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وذكر في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أعطت يمينه نعم ان كان في اظهار الصدقة خير كان كان يقتدي به غيره فلا بأس ان سلم من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس وما أحسن قول القائل

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور أو شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور

﴿الباب التاسع والثمانون في بر الوالدين وحقوق الاولاد﴾

لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الارحام وأمسها الولادة فيقتضي تأكدا لحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولدا والدا حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك (ويروى) ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى انك من بر والديه وعفى

كتبته بارا ومن بر نبي وعق والديه كتبته عاقا (وقيل) لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له
فأوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لأخرجن من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه
وسلم ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها للوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون
له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد
وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي
لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب
وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل
يا رسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر
فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق
وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال صلى
الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا ودعدك سبعا وهو
عدوك أو شريكك وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع
ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة
سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك
وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على
الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم
السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت سوقة منها فاستقبلت بها أوداجه ثم تجعل
على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وبا رجل الى عبد الله بن المبارك
فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى
الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا
منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنقه فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد
أحسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعهدا الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى
انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه
الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا
قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله
حتى يقضي حاجته وفي ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى
اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته وقال صلى الله عليه وسلم بر الولد من وصل الود
وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا أبا بحر ما تقول في الولد
يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء مظلة بهم نصول على كل جليل
فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فارضهم يكفوك وردهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا
حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد علمت ما أخفى عنا

وغيظنا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمها اياها على الشطر

﴿الباب التسعون في حقوق الجوار والاحسان للساكين﴾

اعلم أن الجوار يقتضي حقوقا وآدابا تقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبي صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام اذا أنتن ميت كلب جارك فقد آذيته (ويروى) ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاء جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود (وروى الزهري) ان رجلا أتى النبي عليه الصلاة والسلام فجعل يشكو جاره فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا ان أربعين دارا جار قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وعن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله وعن الفرس ذلله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه (واعلم) أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الاذى أيضا فان الجار اذا كف أذاه فلم يسئ في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني (وبلغ ابن المقفع) أن جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما فاتك اذا بحرمة ظل داره ان باعها معه دما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها * وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي (وجملة حق الجار) أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السر ومعه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في رفع الجذوع على جداره ولا يصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما يتكشف له من عوراته ويغمضه من صرعته اذا بانت له نابية ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما يغض بصره عن حرمته ولا

يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده فى كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو غلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجيراننا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول فى هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك وقال أبو ذر رضى الله عنه أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها

﴿الباب الحادى والتسعون فى عقوبة شارب الخمر﴾

قد أنزل الله فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين شارب وتارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله عنه فأخذ بلحى بعير وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الآية فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفقة على تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وقوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا الا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا ان شاربها واعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وان كل مسكر حرام وكل حرام (ذكر ابن أبى الدنيا) انه مر بسكران وهو يبول فى يده ويغسل به يده كهيئة المتوضى ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له فى الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانك فى حرارتك فقال ما أنا بآخذ جهلى بيدى فأدخله فى جوفى ولا أرضى ان أصبح سيدا وأمسى سفيههم وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [illegible]

فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما لها فقالت له ليشهد فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر فقالت انما دعوتك لتشهد ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع علي أو تشرب كاسا من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى انه لا بد له من ذلك قال اسقيني كاسا من الخمر فسقته فقال زيدوني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان الخمر في صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه وروى أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أهبط الى الارض قالت الملائكة أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فلننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فأهبطا الى الارض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شيء أبيتما علي الا فعلتما حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وروى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلي قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له اني أداوي بها ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها وروى ان الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

الباب الثاني والتسعون في معراج النبي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا

بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدبي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعدبي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد علي السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بانائين من خمر وانائه من لبن وانائه من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بثمان صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي

الباب الثالث والتسعون في فضائل الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بأمور الدنيا بكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات ولم يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان أهل النار ليتأذون بأنتن الريح فكلما سمعوا

فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني جبرائيل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أو ليس له قسم ذخره له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء الا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر

﴿الباب الرابع والتسعون في حق الزوجة على الزوج﴾

حقوق الزوجات على الازواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تجلجل لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون اتقوا الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (واعلم) أنه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمرا في الكلام فقال أتراجعيني يا لكعاء فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة بن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروي أنه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال

يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم تدعك لهذا ولا أردنا منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عندها أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك ويقال ان أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذينني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أضحك الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فالمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمس منه رجل رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي واذا كان في القوم رجل رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (ووصفت) اعرابية زوجها وقدمات فقالت والله لقد كان ضحوكا واذا وضع سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد ومنها أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يترك الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها في هواها فهو عبد هواه فربما نهى فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولأمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد عبدا والعبد سيدا فقد انقلب الامر وانعكس وقال عليه السلام كبا وتعس المرأة على مثال نفسك ان أرسلت عنانها قابلا جنت بك ذا ويلا وان أرخيت عذارها فترا بين ذلك ذرة وان كبحتها وشددت يدك عليها في حمل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه ثلاث أن تمنعهن

أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به ان تحضت الاكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك

﴿الباب الخامس والتسعون في حق الزوج على الزوجة﴾

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها الا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في الاسفل فمرض فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فأضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال عاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصليا تهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء قلت أين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أراد ها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا المرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيران له سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته آكلا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الآكل ويبقى الرزاق وخطبت

رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها ارتاحي الى همة من النساء لشغلي بحالي فقالت اني لا اشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالا يجز بالامير ز قد أردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله عز وجل فقال لها أستأذن استاذي فرجع الى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كمن من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فتملا من غسل الاشنان فما وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وفرغ الى أزواجك وكانت رابعتها هذه تشبه في أهل الشأم برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لا تضر في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر (ومن حقها) على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب الشرع مع الزوج وروي ان أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنته عند التزويج انك فارقت بيتا من العش الذي فيه درجت ففرشت الى فراش لا تعرفينه وقربت لي تألفيه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا ولي له أمة يكن للك عبدا لا تطلعي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فيسخط ك ان دنا منك نافري منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تقربيني قربك الشيء مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى * ويأبى قلبي والعتاب عتاب
فاني رأيت الحب في القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

﴿الباب السادس والتسعون في فضل الجهاد﴾

قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أي الاعمال أفضل وأحب الى الله عز وجل عملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص

رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا قال يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فاقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله تعالى من قاتل في سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في العزلة مع اجتهاده في الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ما جهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم من يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدري فقال أعدها علي يارسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله

﴿الباب السابع والتسعون في مكر الشيطان﴾

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا الاخلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها الأن الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فبهما يهتدي به الى غوامض طرقه والاطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى ساوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخبلها وألقى في قلوب أهلها أن ردوها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها

فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له معالجتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك قتل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم فقال بماذا قال اسجد لي سجدة فسجد له سجدة فقال له الشيطان اني بري منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك وروي ان ابليس سأل الامام الشافعي رضي الله عنه ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فتفكر في كلامه ثم قال يا هذا ان كان خلقك لما تريد أن تفعله فان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانصرف الى أن صار لا شيء ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئلتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة وروي أيضا أن ابليس لعنه الله قال لعيسى بن مريم عليهما السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال لك لست أقولها بسببك أي لان له تلبيسات في الخير كما أن له تلبيسات في الشر تتناهى وبها يمال العباد والزهاد والأخيار فيا أيها المؤمن احذر الخلق الا من حفظه الله اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين

﴿الباب الثامن والتسعون في بيان السماع﴾

حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء أنهم كانوا يستدلون بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله في كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماع صوت المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء ستر سواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه ساحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول ونعته الزنادقة ليستعملوا بدله من القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم وهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة قال منهم الصحابي عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال وفعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون الغناء في أفضل أيام السنة وهي الايام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم ير أهل المدينة وأهل الحرمين بأسا بفعله وكان على السماع الى زماننا هذا فادركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس الغناء وقد أخذ عن الصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يغنيان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون فقال كيف انكر ما سمعه

وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعا في دعوة وهما أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدي أحمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه المدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقول شيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم سنفوا في الرد على منكريه وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه الا أقدام العلماء وحكى عن شاد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيأ فقال ما أنكر منه شيأ ولكن قل لهم يقتصرون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكى عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت بوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه واذا أبو بكر يقول شيأ من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أسئل فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم لا يتحاورون الا في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيآتك فقال لا في الحسنات ولا في السيآت لانه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة

﴿الباب السابع والتسعون في النهي عن البدعة واتباع الهوى﴾

قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعلم من هذه الاحاديث ان كل ما خالف الكتاب والسنة
واجماع الائمة فهو بدعة مردودة وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل
بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال قتادة
رضي الله عنه في قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية اعلموا ان السبيل سبيل واحد
جماعه الهدى ومصيره الجنة وان ابليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها الى النار وعن
ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله
مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل ليس منها سبيل الا عليه
شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات وقال بن عيينة هذه السبل
تهم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الاهواء
والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة
للزلل ومظنة لسوء المعتقد وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه
وسلم ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة الا أضاعت منها من السنة وقال صلى الله عليه وسلم
ما تحت ظل السماء من اله يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع وقال صلى الله عليه وسلم أما بعد فان خير
الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة
انما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى ايا كم والحدث الحدث ايا كم
وحدثة ضلالة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال
صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا صدقة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من
الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك
لكل عمرة شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته الى سنتي فقد اهتدى ومن كانت شرته الى غير ذلك فقد
هلك اني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر رواه الترمذي بحسن في بعض نسخه
وصححه في أخرى والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة

﴿فصل في النهي عن آلة اللهو﴾ روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لصاحبه تعال
أقامرك فليتصدق وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه من لعب بنرد أو نرد شير فكأنما غمس يده في لحم
خنزير ودمه وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي مثل
الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي أي فلا تقبل له صلاة كما صرحت به رواية أخرى وأخرج
البيهقي عن يحيى بن كثير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يلعبون بالنرد فقال قوم لعنة
وأيدعاملة والسنة لاغية وأخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مر بكم [illegible] الذين يلعبون
بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أي وما شابه ذلك من كل لهو فمروهم فلا تسلموا عليهم وان
سلموا عليكم فلا ترد وا عليهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من اليسر المزار والقمار والكوبة
والصفير بالحمام ومر على رضي الله عنه بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها
عاكفون لان يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها ثم قال والله لامر هذا الخلق [illegible]
الله عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلت وما قتل وأخذت وما أخذ [illegible]

الاشعرى رضى الله عنه لا يلعب بالشطرنج الا خاطئ واعلم ان الملاهى اما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبل ومزمار وما أهلى بصوت مطرب اذا انفرد أو مكروه وهو ما يزيد به الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لا وحده أو مباح وهو ما خرج عن آلة الطرب الى انذار كالبوق وطبل الحرب أو الجمعة واعلان كالدف فى النكاح

﴿الباب التمم للمائة فى فضائل رجب﴾

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الاصب لان الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين ويقال له الاصم لانه لم يسمع فيه حس قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه الا من صام شهر رجب قال صلى الله عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كان الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبرى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفيه أسرى به صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ألا ان رجب شهر الله الاصم فمن صام من رجب يوما ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الاكبر قيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى منها أربعة حرم فالاشهر الحرم ثلاثة سرد واحد فرد وهو شهر رجب وحكى ان امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثنى عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها ان يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها فى ثياب من تفقة فرآها فى منامه تقول له أنا عند ملك غير راضية لانك لم تعمل بوصيتى فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت ان من أطاعنا فى رجب لا نتركه فردا وحيدا وروى اذا كان ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك الا ويستغفر لصوام رجب وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة تسعمائة سنة قال أنس رضى الله عنه صمت اذ نابى ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (لطيفة) الاشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل التسبيح كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والاوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين (روى الديلمى) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسمح الله الخير فى أربع ليال سحر ليلة الاضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وروى الديلمى أيضا بسنده عن أبى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين

﴿الباب الحادى بعد المائة فى فضل شعبان المبارك﴾

سمي شعبان لانه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير روى عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان وفي النسائي من حديث اسامة رضي الله عنه قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما من شعبان وفي رواية كان يصوم شعبان كله وسلم كان يصوم شعبان الا قليلا فهذه الرواية مفسرة للاولى فالمراد بكله أغلبه قيل ان للملائكة في أسمائها ليلتي عيد كما ان للمسلمين في الارض يوم عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الاضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة وذكر السبكي في تفسيره انها تكفر ذنوب السنة وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أي احيائها هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا لذلك وليلة الحياة لما روى المنذري مرفوعا من أحيا ليلتي العيد وليلة نصف شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الثالث عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام أحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لاهل الارض الا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس بن مالك قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عائشة رضي الله عنها في حاجة فقلت لها السر جي فاني تركت النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنيس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان تلك الليلة كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ودخل معي في لحافي فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته القبطية فخرجت فرأيت في المسجد فوقع رجلي عليه وهو يقول سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي الذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقني قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجه سيدي أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما علمت ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل في هذه الليلة يعتق من النار بعدد شعر غنم كلب الا ستة نفر لا مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا مصر على زنا ولا مصارم ولا مشرب ولا قتات وفي رواية مصور بدل مشرب وتسمى ليلة الصكة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ ملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس ويشيد البنيان وان اسمه قد نسخ في

الموتى وما ينتظر به ملك الموت الا أن يؤمر به فيقبضه

﴿الباب الثانى بعد المائة فى فضل رمضان المعظم﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم عن سعيد ابن جبير رضى الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصارى فربما كان يقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى أسفارهم وبعض معايشهم فاجتمع رأى كبرائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم ان ملكا لهم اشتكى فجعل لله عليه ان برئ من وجعه أن يزيد فى صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا فلما مات ذلك وليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وقيل ما من أمة الا وفرض عليهم صيام رمضان الا أنهم ضلوا عنه قال البغوى والصحيح ان رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهى الحجارة المحماة لانهم كانوا يصومون فى الحر الشديد لان العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور كان فى شدة الحر فقيل سمى بذلك لانه يرمض الذنوب أى يحرقها وفرض فى السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه ووردت فى فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب فى الشهر كله وأمر الله تعالى مناديا ينادى يا طالب الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه فلم يزل كذلك الى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه فى رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائما على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه وسقاه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وناهيك بعباد أضافها البارئ تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتى خمس خصال فى شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادى الصالحون ان يكف عنهم المؤه والاذى

ويغفر لهم في آخر ليلة منه قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفى أجره اذا قضى عمله

﴿الباب الثالث بعد المائة في فضل ليلة القدر﴾

روى عن ابن عباس رضي عنهما قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرا من ألف شهر مدة حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولامته الى يوم القيامة فهي من خصائص هذه الامة وبها اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو ألف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار بما أعطى من القوة والبسالة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الى امرأته وضعفوا لها طستا من ذهب على أن دلتهم على مبيته حتى يحبسوه في بيتهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه سرا أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها عما صنعت ذلك فقالت أحب قومك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا الى امرأته ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء ابليس الى الكفار وأرشدهم الى أن تسأل المرأة وجيها أي شئ لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال ذؤابتي وكان له ثمانية ذوائب فلو بلغ شعره الارض فلما نام قيدت رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به الى بيت المقدس وهم مائة أو بعمائة ذراع علوه ومع اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكانوا ظهروا عليه فسأل الله تعالى ان يقويه على فكه وثاقه وعلى ان يحرك العمود ويرميه عليهم ففعلوا به ذلك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا وجاءهم فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخبر وقالوا يارسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا أدري ما يدريك يا سلمان تقدم ليلة القدر وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضي الله عنه الملائكة تنزل ليلة القدر في الارض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للتنزل كما ورد فتسطع الانوار ويحصل تجل عظيم ويتكشف فيها الملكوت والناس في ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والارض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من درها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الانبياء والاولياء والشهداء والصديقين وهم في هذا الملكوت يتنزهون في ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من تتكشف حجب عن الله فلا يشهد الا اياه وعن عمر عنه عليه الصلاة والسلام من أحيا الليالي الاربع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب الى من قيام ليالي شهر رمضان كلها فقالت فاطمة بنت ما قضم النعناء من الريق أو كما قال لمن لا يقدرون على القيام قال لا يضعون الوسائد تحتهم ويقومون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل الا كان ذلك أحب الى من قيام أمتي جميعا شهر رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب ليلة القدر وسيل فيها ركعتين [illegible] وخاض في رحمة الله ومسحه جبريل بيده ومن مسحه جبريل بيده [illegible]

﴿الباب الرابع بعد المائة في فضل العيد﴾

سمي هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذي هو العاشر من ذي الحجة عيدا لان المؤمنين عادوا فيهما من طاعة الله تعالى التي هي أداء فريضتي صيام رمضان والحج الى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم التي هي صيام ست من شوال والتأهب لزيارته صلى الله عليه وسلم ولتكرر ذلك كل عام ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهي سنة مؤكدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها الاموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى في قبره اذا مات ألف نور وعن وهب بن منبه رضي الله عنه ان ابليس يرن في كل عيد فتجتمع اليه الابالسة فيقولون يا سيدنا مم غضبك فيقول ان الله تعالى قد غفر لامة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وعن وهب أيضا ان الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر واسطى جبريل للوحي يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قام ليلة العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب (حكى) ان عمر رأى ولده يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بني أخشى ان ينكسر قلبك في يوم العيد اذا رأى آل الصبيان بهذا القميص الخلق فقال انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه وعق أمه وأباه واني لارجو أن يكون الله راضيا عني ولن أبكي عمر وضمه اليه ودعا له رضي الله عنهما وما أحسن قول القائل

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * قلت خلعة ساق عبده الجرما
فقر وصبر ثوبان بينهما * قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
العيد لي ما تم ان غبت يا أملي * والعيد ان كنت لي مرأى ومستمعا

وورد اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الارض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون يا أمة محمد أخرجوا الى رب كريم يعطي العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الاجير اذا عمل فيقولون جزاؤه ان يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم اني قد جعلت ثوابهم رضائي ومغفرتي

﴿الباب الخامس بعد المائة في فضل عشر ذي الحجة﴾

روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيها أحب الى الله من هذه الايام يعني أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن في سبيل الله قال ولا مثلهن في سبيل الله الا رجل عقر جواده وعقر وجهه في سبيل الله وعن عائشة رضي الله عنها ان شابا كان صاحب سماع وكان اذا أهل هلال ذي الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال ما يحملك على صيام هذه الايام قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله انها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله ان يشركني في دعائهم قال فان لك بكل يوم تصومه معدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها في سبيل الله فاذا

كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها عدل ألفي رقبة وألفي بدنة وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية انها العشر الاول من ذي الحجة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة وأربعة سيقعون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة أما الايام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وثانيها يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكة فيقول ياملائكتي أنظروا الى عبادي جاؤا شعثا غبرا قد أنفقوا الاموال وأتعبوا الابدان اشهدوا اني غفرت لهم وثالثها يوم النحر فاذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانا فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ورابعها يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى للائكته ان كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم اني قد غفرت لهم وينادي المنادي يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيآتكم حسنات وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وآسية امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين الى الايمان بالله ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وأما الاربعة الذين اشتاقت اليهم الجنة فعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وعنه صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقا منه من سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة في ذلك والله أعلم انه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمنين ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولانه لموسى عليه السلام ويوم عرفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وكرامته تتضاعف على غيره صلى الله عليه وسلم

﴿الباب السادس بعد المائة في فضل عاشوراء﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا ان هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه وقد ورد في فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها انه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسي والسموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجنة وفيه اتخذ ابراهيم الخليل فيه قارة ثيابا من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه وأغرق فرعون ومن معه وفيه لعيسى فيه رفع الى السماء وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيه استوت السفينة على الجودي [illegible] العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد [illegible]

وأول مطر نزل من السماء الى الارض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال صلى الله عليه وسلم في آخر عمره الشريف ان عشت الى قابل لأصومن التاسع والعاشر فانتقل الى الرفيق الاعلى من عامه ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفي صوم التاسع والحادي عشر بقوله صلى الله عليه وسلم صوموا قبله يوما وبعده يوما وخالفوا سنة اليهود أي حيث أفردوه بالصوم وروى البيهقي في شعب الايمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكرة للطبراني الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فموضوع وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين (واعلم) ان ما أصيب به الحسين رضي الله تعالى عنه يوم عاشوراء انما هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله والحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا ينبغي ان يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون واياه ثم اياه ان يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن اذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل

﴿الباب السابع بعد المائة في فضل ضيافة الفقراء﴾

قال صلى الله عليه وسلم لا تكلفوا الضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يعطيه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيأ من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا أسلفه الا برهن فأخبرته فقال والله اني لامين في السماء أمين في الارض ولو أسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة من ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى وما أحسن قول القائل

لم لا أحب الضيف أو ❊ أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه ❊ عندي ويشكرني عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم الصنيعة الا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف في كثرة القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي ودعا لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في دعوته فان اهمالهم ايحاش وقد أمر الله تعالى بر ذي القربى وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا للقلوب والباقين وربما أدى ذلك الى ترك دعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتشبه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يمتنع عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي أن لا يدعو الا من رجا اجابته فان من دعا أحدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أبى المدعو فعليه خطيئة لانه تسبب الى ترك الاكل مع كراهة ولو علم ذلك المدعو فكان يأكله والطعام التقي اعانة على الطاعة والطعام الملتقى عليه الفسق وقال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل ترى لي أن أخيط من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة وأما أنت فمن الظلمة أنفسهم وهذه الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو أهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب مذكورة في احياء علوم الدين

الباب الثامن بعد المائة في الكلام على الجنائز والقبور

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذكير للاهل الغفلة فانها الآن يدعى منها بالاقسام لانهم يظنون انهم أبدا الى جنائز غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لاحقة على الجنائز يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان الماضين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان محمول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون وعن بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة قط فرأيت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات أخو ما لك بن دينار خرج هاربا من جنازته ويقول والله لا تقر عيني حتى أعلم الى ماذا صارت اليه ولا أعلم ما دمت حيا وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا أدري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا مغتبطا أو مغبوطا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا تنظر الى جماعة يحضرون جنازة الا رأيتهم لاهين يلعبون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلف لورثته ولا يتفكر أقرانه أنه عما قريب صائر الى ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الى ما صار اليه في جنازته فما أشد قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى أن يتداركنا من عنده انه سميع مجيب

الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت * نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن * وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشأ يقول

ترو عنا الجنائز مقبلات * وتلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة اغار ذئب * فلما فات عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن مناغير مذنب وخير ذي خطايا * ويحكى أن رجلا من المتهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فصلى عليه أحد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر نازة ثم قصد أن يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان اذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور * وقيل لعلي كرم الله وجهه ما شأن أجاورت المقبرة قال اني أجدهم خير جيران اني أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة * وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد. وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المغيرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لي وقال أبو ذر ألا أنبئكم بيوم فقري يوم أوضع في قبري

﴿الباب التاسع بعد المائة في التخويف من عذاب جهنم﴾

أخرج البخاري كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار فما رئي يوما حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لضحكتم على الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب والطبراني في الأوسط جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل ما لي أرى لونك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بنا فقع النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي النار أو انعتها لي جهنم فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق لو أن مالزنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا لمات من في الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لذابت وما استقرت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت فقال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل وهو يبكي فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال ومالي لا أبكي وأنا أخشى بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فمازالا يبكيان حتى نودي يا أن يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تبارون إلى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقنط عبادي أغبا بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وابن ماجه والحاكم وصححه إن ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها والبيهقي إن عمر رضي الله عنه قرأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال يا كعب أخبرني بتفسيرها قال صدقت صدقتك وإن كذبت رددت عليك فقال إن جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة ألف مرة قال صدقت والبيهقي إن الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ومسلم يؤتى بأتعس أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب وبؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط

البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعني الدم وتقرح العيون

﴿الباب العاشر بعد المائة في الميزان والصراط﴾

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة انها بكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن * وروى الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والارض لوضعت فتقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فمسلك يهوي فيها ومسروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجري الفرس ثم كسعي الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار واقفا فيها شرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى انقطعت به الاماني قال لك ما سألت ومثله معه وروى مسلم أن أم مبشر الانصارية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها لا يدخل النار ان شاء الله تعالى احد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى أحمد أن جماعة اختلفوا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال ترددونها جميعا ثم أهوى بأصبعيه الى أذنيه وقال صمتا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى برا ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كلمح الريح ثم كمر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه

﴿الباب الحادي عشر بعد المائة في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها
حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم
الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فان
دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكأس الاوفى فانه لا بد لكم أن تردوا
وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه
السلام عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أذيقه الموت
بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأول الجنة تحرك على الاطلاق حلقة
أمته فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل
بسمع قرب من سمعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحتفرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم
وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأنصبحت الانصار لا تزيد على ما هي
هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم
قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال ان
نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا
بكر فاني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله
عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت دخل علي أخي
عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يحب ذلك فقلت آخذ لك فأخذه فأشتد عليه
فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فليته وكان بين يديه
فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى
فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه
بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل علي رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك
يده وقال ما قالوا له فقالوا ما تقولون قالوا نقول خشي أن تموت وتتسايح نساؤهم لاجتماعهم بالمهاجرين الى النبي
صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أبناء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب
الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنكم تنكرون
منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنتم اليكم وتبقى اليكم أنفسكم هل خطرتم قبلي أن يعرض هذا
فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا فانهم أكثر الناس
فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخر الآية وان
باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجل أحد
غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان تولينم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن يحسن محسنهم
يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وهم
من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم

موعدكم الحوض حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكف لسانه ويده إلا عما ينبغي فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال إنما أوصي بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أمتهم وإذا فجر الناس عقروهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال إلى الله والى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والمحفظ والعيش الهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال نعم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك فمنا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ائذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثير ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا فإذا فرغتم فصلوا عليه ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم ذوي النساء ثم ذوي الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثير لا تراهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني من بعدي وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فمنا نحن على ذلك لم نكن على مثل حال النساء في الرجاء والفرح قبل ذلك إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فأهويت برأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بجلس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقبض نفسك حتى تأمرني فما ذا أمرك فقلت اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكأنما ضربنا بصاعقة ما نخبر اليه شيأ وما يتكلم أحد من أهل البيت احتراما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت صوته وخرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني مكروبا فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق وألم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن

عليه أبدا ألا ان ربك منتم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة
ادني فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدني مني رأسك
فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها اختلافا انها
بعد ذلك فقالت أخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي
وأن يجعلك معي فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال
الملك ما تأمرنا يا محمد قال أ لحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يرد عن
أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد الا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وبناه
جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الأرض أبدا طوى الوحي وطويت النبوة
وما كان لي في الارض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي الذي يوقفني الله تعالى
ما في البيت أحد يستطيع أن يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجال العظم بما فهم من حديثه
ووجدنا وا شفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره
وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجيهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق بيدي
وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له اذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما ألقى جبهتك من
الرشح فيقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك
ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه الى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل أن يجيء أحد وانما صدهم الله عنه لان ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أتى على الرجل
الرفيق الاعلى كأن الخيرة تعاد عليه فاذا أطلق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا ترالون بخير ما كان
ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضي الله
عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فما مات رضي
الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علي
كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي
وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب
بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلا تولوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون
معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس
ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان
كان الناس لم يرعووا الا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد
والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكان الناس لم يعلموا هذه الآية يومئذ حتى تلاها

بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد واد كار غير القلوب لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا ما أقدرنا الله عليه وجذب قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة ونرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة بأن يلحقنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على الايمان انه أكرم مسؤل وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين

الحمد لله علام الغيوب والصلاة والسلام على سيد كل محبوب وعلى جميع الآل والأصحاب وعلى كل من لبى دعوته وأجاب ﴿اما بعد﴾ فقد تم طبع هذا الكتاب المسمى بكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب بالمطبعة البهية ادارة الحضرة العثمانية الكائنة بحارة الفراخة بخط باب الشعرية بهمة مديرها ومنشيها ذي الرأي الصائب الفائق جناب الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه وبلغه ما أمله وحسكان الفراغ من طبعه أول شهر ربيع الاول من عام ألف وثلثمائة وستة بعد الالف من هجرة من خلق على أكمل حال وأعلى وصف صلى الله عليه وسلم آمين

DUE DATE